

حقوق التأليف محفوظة
لدار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت ص. ب ١١١٨١٣

تلفون ٣١٤٦٥٩

٣٠٩٤٧٠

الطبعة الأولى

تموز (يوليو) ١٩٩٢

الطبعة الثانية

كانون الثاني (يناير) ١٩٩٣

صورة الغلاف: الشهيد غسان كنفاني وغادة السمان والفنان بهجت في تلفريك جونية،

المصور مجهول.

الغلاف الأخير: تتابع الأسماء بالترتيب الأبجدي.

رِسَائِلُ غَسَّانِ كَفَّايِنِي إِلَى غَادَةِ السَّمَّانِ

قَدِّمْتُ لَهَا:

غَادَةُ السَّمَّانِ

دَارُ الطَّلِيْعَةِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ
بِئِيرُوتَ

يعود ريع هذا الكتاب إلى
مؤسسة غسان كنفاني الثقافية (*)

(*) لأنني لا أريد من هذا الكتاب أي ربح مادي، ارتأيت منذ الطبعة الأولى أن يذهب ريعه إلى المؤسسة. وها أنا أعيد الكرة رغم الرفض.

محاولة إهداء:

إلى الذين لم يولدوا بعد

هذه السطور التي أهداني إياها ذات يوم وطنيُّ مبدعٌ لم يكن قلبه
مضخةً صدئةً،

أهديها بدوري إلى الذين قلوبهم ليست مضخات صدئة،
وإلى الذين سيولدون بعد أن يموت أبطال هذه الرسائل،
ولكن سيظل يحزنهم مثلي أن روبرت ماكسويل دفن في القدس في
هذا الزمان الرديء، بدلاً من أن يدفن غسان كنفاني في يافا.

غادة

محاولة تقديم أولى:

(*) الخروج من الخاص إلى العام

١ - الخنساء لم تصب بالعمى لكثرة ما رثت إختوها القتلى وبكتهم - كما هو شائع في كتب الأدب - ولكنها رثت قتلاها وبكتهم لأنها كانت (عمياء) منذ البداية! إنها لم تر في الموت غير الموت. إنها لخطيئة مميتة أن لا ترى في الموت غير الموت.

٢ - كي أتجنب السقوط في فخ الرثاء الذي أكره، والرومانسيات التي لا تجدي، لن أكتب عن غسان كنفاني، وإنما سأتركه هو يحدثنا عن نفسه.

٣ - يخيل إلي أحياناً أننا جميعاً تحدثنا عنه بما يكفي، وأن الناس في شوق إلى سماع صوته هو. وهذا ممكن بفضل عادة سيئة طالما تملكنتي، هي «الحوار الأبجدي» مع رفاقي، زادت في تفاقمها عادة سيئة أخرى من عاداتي وهي كثرة الترحال، بحيث تصير الرسائل أحياناً وسيلة التخاطب الوحيدة الممكنة.. وعبرها نتابع حوارنا الأدبي والحياتي.

٤ - أترك غسان كنفاني يتحدث إليكم عن نفسه وعن «الرجال الذين لا يمكن قتلهم».

٥ - حولوا الآن صفحة نفوسكم الهائجة الأمواج إلى صفحة

(*) كُتبت هذه المقالة في بيروت في الذكرى السابعة لاستشهاد غسان كنفاني ونشرت في مجلة الهدف (تموز ١٩٧٩) التي أسسها الشهيد وعمل رئيساً لتحريرها حتى لحظته الأخيرة. وفي المقالة مقتطفات من رسائل هذا الكتاب، نشرت يومئذ معززة بصورتها بخط يد الشهيد.

بيضاء كالشاشة، وفوقها سترتسم كلماته كلسع النار والجليد معاً. تذكروا، أنا لست هنا لأرثيه، بل لأشهر صوته على الذاكرة كالخنجر. وكل ما سأفعله هو (مونتاچ) صغير للذكريات، وكل ما سأقوله لن يتجاوز ما يقوله معلق إذاعي يبذل جهداً غير بشري كي يكون محايداً وبشرياً أمام شريط من أحداث له طعم المعجزة.

لماذا (المونتاچ)؟ لأن الذاكرة عين بملايين الأجنان، نسدها كالستائر جفنًا بعد الآخر على ما كان، وسأرفع اليوم جفنًا واحداً لأن المجال لا يتسع لمزيد. ولأن الذاكرة حنجرة بملايين الأصوات اخترت لكم منها إيقاعاً واحداً هو صوت المذيع المحايد، فصوت غسان ليس بحاجة إلى كورس أغريقي من الندابات.

٦ - قلت لكم صفحة بيضاء كالشاشة. حدقوا جيداً. الآن ترتسم فوق الشاشة صورة غسان وهو في العاشرة من عمره «طفلاً شقيماً مبللاً بمطر يافا الغزير، بعد أن ركض طويلاً تحت المزاريب».

- هل ذكرت لكم أن كل ما هو ضمن قوسين وبالحرف الأسود منقول حرفياً من رسائله؟

لقد تعمد غسان بمطر يافا، وحين غادرها كان مطرها قد اخترق جلده إلى الأبد وصار من بعض دورته الدموية.. وكان النسيان مستحيلاً. وكان غسان منذ البداية يتقن استعمال قلمه وسكينه معاً، ويؤمن بهما معاً. كان صغيراً يوم ادخلوا أخته فايضة - وكان يحبها كما يحب وطنه - إلى غرفة العمليات بسبب ولادة عسيرة، فاقتحم غرفة العمليات:

«رفعت المشرط في وجه المسكين ولسون، ذلك الاسكتلندي الطيب الذي كان يجد فيّ ما لم أجده أنا نفسي. إنه يضحك بلا شك حين يذكر القصة. كنت أنا على حق رغم كل شيء، وقلت له: ليامت الطفل، ولكن إذا ماتت هي فستموت معها هنا. ورفضت أن أخرج وظللت مثل مجنون فار مثبناً ظهري إلى الزاوية وانظر إليها مضرجة بالدم تحت أصابعه الباردة وحين تنفس الصعداء بعد قرن من

الرعب أخذت أبكي، وسقط المشرط من يدي... ولم أرها إلا بعد أن صار أسامة في الرابعة من عمره....»

هكذا أرى غسان دائماً: رجل قلمه من الناحية الثانية مشرط قاطع، إنه الرجل الذي لا يحجم عن استعمال السلاح المناسب في الوقت المناسب، طرف القلم، وطرف المشرط، وبوسعه: «أن يصنع الحياة بمشرط جارح».

وبعد أن فقد الوطن:

«أحسُّ كم كان فقدانهُ هولاً تساوت فيه إرادة العيش بشفرة المشرط. إنني لا أنسى حدقتي الدكتور ولسون حين كانت تسبح فيهما تلك الكرنتان الزرقاوان، كان رجلاً قادراً على الفهم من فرط ما شاهد الناس يموتون ببساطة، ويتركون العالم بملاجيء أقل».

وكان غسان يمتلك الملجأ الأكبر: الوعي بقضية. بيقين. بهدف. كان منذ البداية يعرف «الهدف» الوطن:

«سأظل أناضل لاسترجاعه لأنه حقي وماضي ومستقبلي الوحيد. لأن لي فيه شجرة وغيمة وظل وشمس تتوقد وغيوم تمطر الخصب وجذور تستعصي على القلع».

«لقد حاولت منذ البدء أن أستبدل الوطن بالعمل، ثم بالعائلة، ثم بالكلمة، ثم بالعنف، ثم بالمرأة، وكان دائماً يعوزني الانتساب الحقيقي. ذلك الانتساب الذي يهتف بنا حين نصحو في الصباح: لك شيء في هذا العالم فقم. أعرفته؟ وكان الاحتيال يتهاوى، فقد كنت أريد أرضاً ثابتة أقف فوقها، ونحن نستطيع أن نخدع كل شيء ما عدا أقدامنا، إننا لا نستطيع أن نقنعها بالوقوف على رقائق جليد هشة معلقة بالهواء».

وكانت تمر لحظات من الألم الشرس في نفس غسان الفنانة المرهفة، وكان يعرف أن درب الانتماء هي ما تبقى له:

«أستطيع أن أكتشف ذلك كله كما يستطيع الجريح في الميدان

المتروك أن ينقب في جروحه عن حطام الرصاص، ومع ذلك فهو يخاف أن ينتزع الشظايا كي لا ينبثق النزيف. إنه يعرف أن الشظية تستطيع أن تكون في فوهة العرق المقطوع مثلما تكون سداة الزجاجية ويعرف أن تركها هناك، وحيداً في الميدان، يوازي انتزاعها. فالنهاية قادمة، لا محالة... ولو كان شاعراً فارساً يمتطي صهوة الصحراء الجاهلية لاختار أن يموت رويداً رويداً: يده على كأسه الأخيرة، وعينه على النزيف الشريف».

ماذا يفعل بالضبط؟ يمشي نحو «الهدف» أي هدف:

«كما يؤمن التقي بالله والصوفي بالغيب».

٧ - وهذا النقاء الفذ، هو مهمازه للوقوف إلى جانب أصدقائه حين يقعون في ورطة. فالشخصية وحدة لا تتجزأ - أو أنها كانت هكذا على الأقل لديه - وبعد حرب حزيران، ورغم ألمه الفادح للهزيمة، فإن ذلك لم يلهه عن مد يد المساعدة إلى زميلة عمل مثلي رمت بها الأقدار في لندن - بالأحرى رمت هي بنفسها هناك للدراسة - فطردها من العمل البيروتي ومن المحبة، وحكمت بالسجن ثلاثة أشهر لجرم لم تكن تدري انها ارتكبته قبلها بعامين (وهو ترك العمل الدمشقي بدون إذن رسمي وهو أمر محظور على حملة الشهادات العالية).

وها هو في رسالة واحدة يحدثني عن ألمه الكبير ولا ينسى المساهمة عملياً في تخفيف ألمي الشخصي:

«ماذا أقول لك؟ إنني أنضح مرارة.. يعصر لساني الغضب مثلما يعصرون البرتقال على الروشة»، «أنا لا أستطيع أن أجلس فارتق جراحي مثلما يرتق الناس قمصانهم».

لكنه لا ينسى رتق وجعي المادي والعمل المربك، فينفخني بجواز سفر ينقذني من العودة مرغمة إلى السجن، ويساهم في إيجاد عمل جديد لي بصيغة كلها فروسية كما لو كان هو بحاجة إلى أن أعمل!.

«هام: كان أحمد بهاء الدين عندي اليوم وطلب مني جداً

ورسمياً أن أكتب لك رجاءه ورجاء مؤسسته - دار الهلال - بأن تكتبي للمصور من لندن رسائل أدبية وفنية وإذا شئت سياسية بأسلوبك. إن المصور مجلة جادة وذات توزيع مرتفع وتدفع أسعاراً جيدة - إذا رغبت بذلك ابعتي له رسالة إلى دار الهلال بالقاهرة.. إن ذلك في رأيي مرحلة جيدة ومفيدة، وسيكون الاتفاق واضحاً يحولون لك الفلوس إلى لندن أو يفتحون بها حساباً لك في القاهرة - إنه يهديك تحياته أيضاً»..

ووصلت الرسالة بعد أن كنت قد باشرت العمل خارج حقل الصحافة، وكان القرف يغممني إثر تجربتي السابقة مع المجلة التي طردتني دونما إنذار، فتابعت عملي بدل أن أكتب «للمصور» لكن جواز السفر كان طوق نجاة ولمسة حنان أنقذتني من السجن ريثما اعتقني أوائل السبعينات فيما بعد «عفو عام» شملني.

بهذه الشفافية كان غسان يساعد رفاقه حين يسقطون وبمثل هذه الكلمات كان يشجع رفاق القلم حين يخذلهم العالم:

«بوسعك أن تدخلي إلى التاريخ ورأسك إلى الأمام كالرمح. أنت جديرة بذلك».

غسان يحترم المرأة العاملة، ولا يخجل من دعمها علناً. لم يكن ثورياً فصامياً. كان حقيقياً وأصيلاً في كل ما يفعله، وكان الانسجام قائماً لا بين فكره والعالم الخارجي فحسب، بل بين فكره وجسده:

«هل تفهمين؟ إنني رجل مأساتي هي في ذلك التوافق غير البشري بين جسدي وعقلي، هكذا قال لي الدكتور ولسون يوماً: ولذلك أنت مريض بالسكري يا صغيري!».

لكن ذلك التوافق كان يجعل الصداقة وغسان حقيقية وحميمة وشاملة، وكنا نحبه كما هو داخل إطاره. وكما كان يأسي لمتاعبنا كنا نفرح لركنه العائلي الهادئ حيث يكتب ويرسم ويبعد ونشعر أن ولديه فايز وليلى والرائعة آني من أفراد أسرتنا الكبيرة، نحن الذين يربطنا أننا:

«نتعاون لنضع نصل الصدق الجارح على رقابهم»، رقاب
جلادي أسرتنا الكبيرة.

٨ - من الرفض بدأ غسان، الرفض الحقيقي الفذ:

«حياتي جميعها كانت سلسلة من الرفض ولذلك استطعت أن
أعيش. لقد رفضت المدرسة. ورفضت الثروة ورفضت الخضوع.
ورفضت القبول بالأشياء».

وذلك الرفض كله كان درباً لاختيار الانتماء الواعي العظيم الذي
هو تتويج للتناقضات السابقة كلها بحيث تنتقي النظرة السطحية للأمور
التي تصورها لنا على أنها تناقضات جوهرية، وتكتمل لوحة الفسيفساء
النفسية على نحو مدهش، وكما عبر عنه غسان:

«إنني أتحدث عن وجود أكثر تعقيداً من ذلك وأكثر عمقاً. ماذا
أقول لك، وكيف أشرح لك الأمور؟ دعيني أقول لك كيف: أمس كنت
أذوب شمعة فوق زجاجة، أتلهي بهذه اللعبة التي يكون فيها
الإنسان شيئاً فوضوياً وغامضاً من زجاجة وقضيب شمع، وكان
ذوب الشمع قد كسى جسد الزجاجة بأكمله تقريباً، وفجأة، سقطت
نقطة من الشمع الذائب دون إرادة مني، وتدرجت بجنون فوق
تلال الشمع المتجمد على سطح الزجاجة، واستقرت في ثغرة لم أكن
قد لاحظتها من قبل، وتجمدت هناك فجعلت ثوب الشمع بأكمله
يتماسك من تلقائه».

ولكن الأمر لم يكن عشوائياً. ففي الخلفية كان هنالك إنسان يؤمن
بأن: «هنالك رجال لا يمكن قتلهم إلا من الداخل». وهكذا يستعصي
غسان على القتل منذ تماسك الداخل كما يستعصي أمثاله على الموت سواء
كانوا من نوع الشهداء مع وقف التنفيذ أو كانوا من نوع الشهداء مع
التنفيذ.

وغسان لا يبالي بالموت بقدر ما يعي عبثية الحياة، لكن العبث
يقوده إلى محاولة صنع المصير:

«إن الدنيا عجيبة، وكذلك الأقدار. إن يداً وحشية قد خلطت الأشياء في السماء خلطاً رهيباً فجعلت نهايات الأمور بداياتها والبدايات نهايات.. ولكن قولي لي: ماذا يستحق أن لا نخسره في هذه الحياة العابرة؟ تدرकिन ما أعني.. إننا في نهاية المطاف سنموت»..

ولكن غسان عاش لحظات نصر ثورية جميلة، منها زيارته لغزة ولقاؤه بالمناضلين والناس هناك:

«إنني معروف هنا، وأكاد أقول (محبوب) أكثر مما كنت أتوقع، أكثر بكثير. وهذا شيء في العادة، يذلني، لأنني أعرف أنه لن يتاح لي الوقت لأكون عند حسن ظن الناس، وأنني في كل الحالات سأعجز في أن أكون مثلما يتوقعون مني. طوال النهار والليل أستقبل الناس، وفي الدكاكين يكاد الباعة يعطونني ما أريد مجاناً. وفي كل مكان أذهب إليه أستقبل بحرارة تزيد شعوري ببرودة أطرافي ورأسي وقصر رحلتي إلى هؤلاء الناس وإلى نفسي. إنني أشعر أكثر من أي وقت مضى في أن كل قيمة كلماتي كانت في أنها تعويض صفيق وتافه لغياب السلاح وأنها تنحدر الآن أمام شروق الرجال الحقيقيين الذين يموتون كل يوم في سبيل شيء أحترمه، وذلك كله يشعرنني بغربة تشبه الموت وبسعادة المحتضر بعد طول إيمان وعذاب، ولكن أيضاً بذل من طراز صاعق»..

هذا هو غسان المتواضع الفذ المناضل. (يببدو أنني أكاد انزلق إلى فخ الرثاء الرومانسي. أعيدي رأسك إلى موضعه يا امرأة وتابعي الكتابة بحياد).

أجل، يوم قرأت هذه الكلمات أحسست بشيء يشبه المطر داخل حلقي، فمن غسان كنت قد سمعت للمرة الأولى بالمقاومة بصوت هامس يشبه الصلاة، وكان رائعاً أن أسمع عبره صدى الهمس رعداً يتنامى في القلوب والسواعد.

٩ - ذلك الرجل الذي وجد «الهدف» ظل فريسة أوجاع جسدية:

«إن النقرس يفتك بي مثل ملايين الإبر الشيطانية» «إنني مريض حقاً. لا أريد أن أشعرك بأي قلق علي (إذا كان ذلك ممكناً)، ولكن الغرفة تدور الآن، وكالعادة أحتاج كما أعتقد إلى نوم كثير». حسناً، والآن لنستعرض أسلوبه في مداواة النقرس والسكري:

«حولت صدري إلى زجاجة معبأة بالدخان المضغوط، دخلت ٦ غلب وأمضيت النهار التالي أسعل وأدخن وأسعل وأدخن من جديد، وأمس ليلاً كان جسدي قد تعب من هذه اللعبة واستسلم أمام عنادي، وهكذا قمت فسهرت عند بهاء(*)، ثم اقتادني الأصدقاء بعد ذلك إلى الليل ونمت مع طلوع الصباح».

كان يعرف أنه لا شفاء لمرضه وإنما مجرد مصالحة معه في الموقع الوسط، وهو يكره الطول الوسط:

«ولكن في الوسط؟ في الوسط الذي تعرفين أنني لا أستطيعه؟»

١٠ - ولأن الطرف الثاني للمشرط الذي أراد به أن يصنع الحياة هو قلمه فقد كان نضاله الآخر التوأم في حقل الكتابة، ولم يكن الكفاح أقل صعوبة، وقبل أن تولد مجلته كان يتمزق أحياناً على هذا النحو:

«تسألين عن روايتي؟ لم أكتب شيئاً. أعمل في الصحافة كما كان يعمل العبيد العرايا في التجديف. لدي فكرة لمسرحية».

ثم تأتي بعض الانفراجات رغم كثافة الغيوم - أو بسببها!

«عبر هذا الازدحام الذي لا مثيل له (مؤتمر الكتاب الإفرو آسيوي) أنهمك كالمصاب بالصرع في كتابة المسرحية التي حدثتك عنها. أسميتها (حكاية الشيء الذي جاء من الفضاء وقابل رجلاً مفلساً). وأمس اقترحت لنفسني عنواناً آخر (النبي والقبعة) على أساس أن القبعة تستر رأس الرجل من الخارج والنبي يستره من

(*) أحمد بهاء الدين.

الداخل.. وما زلت في حيرة، ولكن المسرحية تمشي على ما يرام. ما رأيك؟»

١١ - غسان الذي كان يقاتل بعيداً عن أرضه من أجل أرضه المستباحة وحب الهارب يرسم صورته:

«معذباً وبعيداً عن جواده وقلعته، يقاتل بكل دمائه النبيلة، ناجحاً في أن يتجنب التلطيخ بوحل الميدان الشاسع. كان يعرف أن التراجع موت، وأن الفرار قدر الكاذبين، إنه فارس اسبارطي حياته ملتصقة على ذؤابة رمحه، يعتقد أن الحياة أكبر من أن تعطيه، وأنه أكبر من أن يستجدي، ولكنه يريد أن يعطي بشرف مقاتل الصف الأول. ليس لديه ما يفقده ورغم ذلك فهو يعرف أنه إذا فقد هذا الشيء الوحيد الذي يعتز به فإنه سيفقد نفسه»^(١).

١٢ - روى لي غسان مرة أن والده حشا جرح صديقه بغبار العنكبوت جمعه من ثقب سور عكا، قال يومها ان الغبار أوقف النزيف. فلنأمل بمفعول الغبار؟ لا. غبار الأيام سيترسب فوق الجرح، لكنه سيكون مثل جراح روحنا كلها: تلتهب كلما هبت عليها الريح. ريح الذاكرة وريح النسيان. تراني سقطت أخيراً في «خطيئة الحزن»؟ حسناً من كان منكم بلا خطيئة، فلنرمه بحجر!...

(١) جميع الاقتطفات الواردة في مقالي هذا في الهدف مأخوذة من الرسائل الموجودة في هذا الكتاب.

محاولة تقديم ثانية:

وفا، لعهد قطعناه

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني... وكان له وجه طفل وجسد عجوز.. عينان من عسل وغماسة جذلة لطفل مشاكس هارب من مدرسة البيغاوات، وجسد نحيل هش كالمركب المنخور عليه أن يعاجله بابير «الأنسولين» كي لا يتهاوى فجأة تحت ضربات مرض السكري: هدية الطفولة لصبي حرم من وطنه دونما ذنب... لم يكن فيه من الخارج ما يشبه صورة البطل التقليدية: قامة فارعة.. صوت جهوري زجاجي.. لامبالاة بالنساء (إلى آخر عدة النضال) لأنه كان ببساطة بطلاً حقيقياً... والأبطال الحقيقيون يشبهون الرجال العاديين رقةً وحنناً لا نجوم السينما الهوليوودية للمحمية... غير العادي في غسان كان تلك الروح المتحدية. النار الداخلية المشتعلة المصرة على مقاومة كل شيء، وانتزاع الحياة من بين منقار رخ القدر... نار من شجاعة تتحدى كل شيء حتى الموت..

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني جسده المهترىء بالنقرس لا يرسمه جيداً ولا يعبر عنه.. ولكن حرفه يفعل ذلك باتقان.. وحين أقرأ رسائله بعد عقدين من الزمن أستعيده حياً.. ويطلع من حروفه كما يطلع الجنى من القمم حاراً ومرحاً صوته الريح.. يقرع باب ذاكرتي ويدخل بأصابعه المصفرة بالنيكوتين وأوراقه وإبرة (أنسولينه) وصخبه المرح.. ويجرني من يدي لنتسكع معاً تحت المطر.. ونجلس في المقاهي مع الأصدقاء.. ونتبادل الموت والحياة والفرح بلا أقنعة، والرسائل أيضاً..

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني التصق بعيني زمناً كدمعة

نقية، وانتصب فوق أفقي كقوس قزح... ووفاء لضوء عرفناه معاً، دعوتكم مرة لمشاركتي في الاحتفال بعيد ميلاده الذي يتصادف في شهر نيسان في «لحظة حريتي» بمجلة الحوادث وليبتم، وها أنا أدعوكم اليوم إلى مهرجان من الألعاب النارية والنجوم هي رسائله..

والوفاء ليس فقط لعاطفتي الغابرة المتجددة أبداً نحوه، بل وفاء لرجل مبدع من بلادي اكتمل بالموت لأنه كان أكثر صدقاً من أن يسمح له عدوه بالحياة والكتابة والاكتمال بالعطاء... موت غسان المبكر خسارة عربية على الصعيد الفني لا تعوض، لم يمهلها العدو وقتاً لتأخذ مداها من التآجج والسطوع... والأجمل من ذلك كله أنه كان مناضلاً حقيقياً ومات فقيراً.. (وتلك ظاهرة في زمننا الموسخ بالخلط بين الثروة والثورة)... إنه رجل لم يتلوث بالمال ولا بالسلطة ولا بالغرور وظل يمثل النقاء الثوري الحقيقي.

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني أشعر دائماً بالرغبة في إطلاقه كرصاصة على ذاكرة النسيان العربية.. والأسباب كثيرة وعديدة، وأهمها بالتأكيد أن غسان كان وطنياً حقيقياً وشهيداً حقيقياً وتكريمه هو في كل لحظة تكريم للرجال الأنقياء الذين يمشون إلى موتهم بلا وجل لتحميا أوطانهم، ولتخرج «القيم» و«المفاهيم» من صناديق اللغة الرثة، إلى عظمة الفعل الحي... لا أستطيع الادعاء - دون أن أكذب - أن غسان كان أحب رجالي إلى قلبي كامرأة كي لا أخون حقيقتي الداخلية مع آخرين سيأتي دور الاعتراف بهم - بعد الموت - وبالنار التي أوقدها في زمني وحرفي.. ولكنه بالتأكيد كان أحد الأنقياء القلائل بينهم.

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني، ويعز عليّ أن أرى الغبار يتراكم فوق وجهه، والعنكبوت يغزل خيوطه ببطء - ولكن باستمرار - فوق حروف اسمه بالرغم من الجهود المباركة للجنة تكريمه.. أخشى أن يفوص في لجة النسيان هو وكل ما كان يمثله.. لا جائزة أدبية باسمه، ولا

شارع في مدينة عربية يخلده (أرجو أن أكون مخطئة وقليلة الإطلاع)...
ولا مهرجان أديباً يكرسه... أفرح حين أرى وفيماً ليوسف الخال هو -
رياض نجيب الريس - يحمي اسمه من عث النسيان، وأتساءل: أين
«جائزة غسان كنفاني» للرواية مثلاً؟ أم أن عليه أن يقرع جدران
الخران؟.. غسان ليس ملكاً لمنظمة معينة فهو طفل الأمة العربية كلها
وأحد الذين جسدوا أنبل ما فيها.. أفكر به، وقلبي على الحبيبة
الفلسطينية الأخرى ولكن المكفنة بنسيان شبه شامل: سميرة عزام.. منذ
غادرت الكنيسة حيث عزيت بها لم أر أحداً من الذين عرفوا وهج
إبداعها يحاول بعث ذلك الضوء في نجمة... لم أسمع بأستاذ جامعي
منهم كلف طالبة أو طالباً بإعداد رسالة جامعية عنها توثق لها وتحفظ
نكرها إلا فيما ندر.. والاحتفال بميلاد غسان كنفاني في صفحتي
الأسبوعية بالحوادث ذات مرة، وبرسائله اليوم، هذا الاحتفال جزء من
الاحتجاج على ذاكرة النسيان العربية... لا أريد أن أرى الثلج يهطل
فوق شاهدة قبره وأمثاله ويغطيها ببرود الجحود.. فقد كان وطنياً من
نوع فريد.. لم يعرف المساومة ولا الرياء ولا رقصة التانغو السياسية:
خطوة إلى الأمام، وخطوتان إلى الوراء...

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني... والأستاذ جهاد فاضل
لم يفتر عليّ حين تحدث ذات يوم عن رسائل متبادلة بيننا سأقوم بنشرها
دون حذف حرف منها... ولم يبيع بسر شخصي حين خط سطره.. على
العكس، كنت أريد أن يكتب ما كتب، على أمل أن يتصل بي «الشخص»
الذي ما تزال رسائلي بحوزته.. فالذي حدث أن الشهيد غسان قتل
والعلاقات الدبلوماسية بيننا على أفضل حال، ولم يحدث ما يستدعي
قطع العلاقات وسحب الرسائل والسفراء.. وبعبارة أخرى: رسائله
عندي ورسائلي عنده كما هي الحال لدى متبادلي الرسائل كلهم!!!

وانتهز الفرصة لأوجه النداء إلى من رسائلي بحوزته (أو

بحوزتها).. نداء أشاركهم فيه محبة غسان وأرجوهم جعل حلم نشر رسائلنا معاً ممكناً كي لا تصدر رسائل غسان وحدها حاملة أحد وجوه الحقيقة فقط بدلاً من وجهيها^(١).. وأنا والحق يقال لا أدري أين رسائلي إليه.. كل ما أعرفه هو أن تلك الرسائل العتيقة لم تعد ملكاً لأحد، وإنما تخص القارئ العربي كجزء من واقعه الأدبي والفكري على لسان مجنونّي حبر، صار أحدهما غباراً مضيئاً منذ عقدين من الزمن، وتستعد الأخرى لمهرجان التراب منذ ولادتها.. إنها رسائل تدخل في باب الوثائق الأدبية أكثر مما تدخل في باب الرسائل الشخصية بعدما انقضى أكثر من ربع قرن على كتابتها، فخرجت من الخاص إلى العام، باستشهاد صاحبها قبل عشرين سنة.

* * *

نعم. كان ثمة رجل اسمه غسان كنفاني.. ونشر رسائلنا معاً هو أيضاً إقلاق لراحة الرياء ولنزعة التنصل من الصدق.. وهي نزعة تغذيها المقولات الجاهزة عن «التقاليد الشرقية» المشكوك أصلاً في صحتها... أنا من شعب يشتعل حباً، ويزهو بأوسمة الأحقوان وشقائق النعمان على صدره وحرفه.. ولن أدع أحداً يسلبني حقي في صدقي.. وإذا كانت جدتي المسلمة - مثلي - ولادة بنت المستكفي قد فتحت خزائن قلبها منذ تسعة قرون تقريباً، فلم أخشى أنا ذلك في زمن المشي فوق سطح القمر.. ولماذا يكون من حقها أن تقول في ابن زيدون:

ترقب إذا جن الظلام زيارتي

فإنني رأيت الليل أكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالشمس لم تلح

وبالبدر لم يطلع وبالنجم لم يسر

(١) نشرت هذا النداء للمرة الأولى بتاريخ ٢١/٤/١٩٨٩ في مجلة الحوادث الصادرة في لندن، وتكرر نشره مرات على لسان أدباء ونقاد آخرين قبل إصداري للطبعة الأولى من الرسائل. ولم يستجب أحد للنداء حتى لحظة صدور هذه الطبعة الثانية.

فلماذا لا أجرؤ على نشر رسائلي ورسائله دونما تعديل أو تعديل -
بغض النظر عما جاء فيها أولم يجيء ؟..

للحقيقة سطوة ترفض مجاملة الزيف وركوعاً مني لسطوتها
سأنتشر رسائل زمن الحماقات الجميلة دون تعديل أو تحوير، لأن الألم
الذي قد تسببه لآخرين عابرين مثلي هو أقل من الأذى اللاحق بالحقيقة
إذا سمحت لقلمي بمراعاة الخواطر.. والحقيقة وحدها تبقى بعد أعوام
حين أتحول وسواي من العابرين إلى تراب كغسان نفسه.. ولذا قدمت
هذا الاعتبار على أي اعتبار آخر ولسان حالي يقول: قد لا أريد أن أتذكر
كي لا أجرح الحاضر، ولكنني لا أستطيع أن أنسى كي لا أخون ذاتي
والحقيقة معاً...

وريثما أحصل على رسائلي إليه فانشرها (١) ورسائله معاً، أكتفي مؤقتاً
بنشر رسائله المتوافرة، بصفتها أعمالاً أدبية لا رسائل ذاتية أولاً ووفاء
لوعد قطعناه على أنفسنا ذات يوم بنشر هذه الرسائل بعد موت أحدنا،
ولم يدر بخلدي يوماً أنني سأكون الأمانة على تنفيذ تلك الرغبة
الكنفانية - السمانية المشتركة.

نعم. كان ثمة رجل يدعى غسان كنفاني. وكان يعرف أن حبي
للحقيقة يفوق أحياناً حتى حبي لذاتي، ومن هنا كانت الحرب التي لن
تهدأ يوماً ببني وبين المؤسسات المكرسة لرعاية الرياء الاجتماعي
(وتطبيب خاطره).. وإذا كنت قد جاملتها يوماً فبالقدر الذي يسمح لي
بالبقاء على قيد الحياة لا أكثر، وعلى طريقة (غاليليو) الذي أعلن أن
الأرض تدور حول الشمس وليس العكس - لأنها ببساطة الحقيقة

(١) ليست لدي مسودات عن تلك الرسائل الغابرة، ولا «فوتوكوبي» - استعمال الناسخات لم
يكن شائعاً يومذاك - الأمل الوحيد في نشر رسائلي هو في أن يتكرم من بحوزتهم الرسائل
بالإفراج عنها.

وبغض النظر عن تزعزع جذور حياته كشفها - ولكنه عاد وسحب مرغماً كلامه وهو يهمس (ولكنها ما تزال تدور...)..

ونشر رسائل غسان كنفاني فعل رفض للخضوع لزمان الغبار الذي يكاد يتكسد في الحناجر، وعصر التراجع صوب أوكار تزوير المشاعر البشرية الجائعة أبداً إلى حرية لا تؤذي وإذا فعلت فعلى طريقة مبضع الجراح لا خنجر قاتل الظلام...

ثمة أدبية عربية نشرت رسائل حبيبها الشاعر خليل حاوي بعدما حذفت اسمها منها (واحتراماً لرغبتها لن أذكره) كما شطبت بنفسها بعض السطور التي وجدتها محرجة في حق سواها على الأرجح.. ولم تنج من اللوم لأنها تجنت على الأمانة الأدبية.. وأنا أعتقد أن العتاب لا يجب أن يوجه إليها، بل إلى القيم التقليدية السائدة التي تجعل سلوكاً كهذا مفهوماً - بل ومدعاة للاحترام -.. والهجوم لا يجوز أن يوجه للأدبية التي نفذت تعاليم مجتمعتها، بل لذلك المجتمع المهترىء بالزيف الذي يجد في أكبر حقائق الحياة عيباً يجب التنصل منه في حجرات السر المظلمة.. وليس من حقنا معاتبة تلك الأدبية على مزاجها الشخصي في المقاومة، ولا الطلب من جميع الأدبيات لعب دور العين التي تقاوم المخز.. بل علينا أولاً ضرب اليد التي تمتد بأصابعها السكاكين لتقص أغصان أية شجرة تومض فيها شرارات الحقيقة.. كي لا تضرم نار عشق الصدق في غابات القلوب المتعطشة إلى حرية الضوء، التائهة أمام المعادلة المستحيلة: كيف نضيء دون أن نحترق!؟..

* * *

نعم. كان ثمة رجل يدعى غسان كنفاني.. وتسديد طعنة إلى «جمعيات الرياء المتحدة» أمر كان سيضطرب له غسان، (كما كان سيفرح بإحياء ذكر أي شهيد نقي يستحق من ذاكرتنا حيزاً أكبر من الذي رصدناه له). ولعل ذلك أحد الأسباب التي دعتنا يوماً للعهد الذي قطعناه

على أنفسنا بنشر رسائلنا معاً^(١) وهو عهد ربما كنت سأتملص من تنفيذه أو أؤجله لو لم أشعر أن هذه الرسائل خرجت من الخاص إلى العام بمرور الزمن.

ولكن ثمة عوامل أخرى أيضاً تحثني على نشر رسائل كنفاني دونما تردد، منها مثلاً رسم شخصية «الفدائي» من الداخل.. أي مناضل في أي وطن..

ثمة ميل دائم في الأدب العربي بالذات لرسم «المناضل» في صورة «السوبرمان».. ولتحبيده أمام السحر الأنثوي وتنجيته من التجربة.. وفي رسائل غسان صورة للمناضل من الداخل قبل أن يدخل في سجن الأسطورة ويتم تحويله من رجل إلى تمثال في الكواليس المسرحية السياسية..

وهي صورة أعتقد أن بوسعها أن تغني أدب الجيل الطالع عامة وأدب المقاومة خاصة وتبعده عن هوة الضوضاء الخطابية المهرجانية السياسية التي يلقي الإبداع فيها مصرعه بعدما حلت الإنشائيات والطرانات المدرسية المزودة بمكبرات الصوت محل دقات القلب. وبهذا المعنى تبدو لي قراءة رسائل غسان كنفاني ضرورة للروائيين الشباب..

(١) كان غسان كنفاني فخوراً بإبداعه في حقل النصوص الشعرية الوجدانية. ولعله - بهذا المعنى - كان يعتبر رسائله في امتداداً لأعماله الأدبية، وربما لذلك كان يقوم بنشرها في زاويته «أوراق خاصة» في جريدة المحرر بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٦٧. وفي ملحق جريدة الأنوار - الصفحة الثانية التي كان يكتبها بين عامي ١٩٦٧ - ١٩٦٨ (ويجد القارئ نموذجاً مصوراً لها في الصفحة ٩٤ من هذا الكتاب). وهذه الرسائل لم تجمع في «الأعمال الكاملة لغسان كنفاني» حتى الآن ولا تزال شبه مجهولة رغم كثرتها كما وأهميتها نوعاً كجزء من نتاجه الأدبي الفني المتنوع. ونجده في رسائله إني في هذا الكتاب يستشهد ببعض ما كتبه لي ونشره في المحرر وملحق الأنوار كما في قوله في الصفحة ٥٤: «أقول لك.. ما قلته اليوم لك على صفحات الجريدة»، ويورد بعدها استشهاده من رسالته المنشورة. والكتاب حافل بتلك الاستشهادات من نصوصه الشعرية الوجدانية تلك، وبوسع القارئ العودة إلى الصفحات ٤١ و٤٤ و٤٨ و٥٤ و٧٣ من هذا الكتاب مثلاً.

حيث يطلعون على صورة حية لحياة شهيد حقيقي بعيداً عن أقنعة التزوير.. وأعتقد أن «أسنة» فكرة الشهيد لا تؤذي القضية، بل على العكس من ذلك، تساعد كل إنسان على اكتشاف العملاق الذي يقطنه مهما بدا لنفسه أو للذين حوله مريضاً وضعيفاً - بالمفاهيم التقليدية - وعاشقاً مهزوماً كسره الحب حيناً وملاًه بالزهو والاعتداد أحياناً .. سنكتشف في رسائل غسان أن كلاً منا يستطيع أن يكون مهماً لوطنه إذا تبع صوت قلبه بلا وجل حتى النهاية وتخلص من الإزدواجية بين المشاعر والسلوك قدر الإمكان، فإذا أحب وطنه حتى الموت مارس ذلك الحب سلوكاً، لا خطباً طنانة على المنابر فقط.. بهذا المقياس أرى كنفاني شهيداً نموذجياً بالمعنى العالمي والإنساني للكلمة ورسائله تجسد هذا النقاء الثوري البعيد عن «التبطل الاستعراضي» والفساد السري، ولعبة الرصانة الديكورية والأقنعة اللامقنعة ..

* * *

الوفاء للعهد على نشر هذه الرسائل بعد خروجها من الخاص إلى العام بحيث صارت وثيقة أدبية. التأسيس لنوع أدبي منتشر في الدنيا بكثرة ويكاد يكون معدوماً عندنا هو أدب المراسلات غير الرسمية، مراسلات الاعتراف: اللون الناقص شبه المفقود في لوحة الأدب العربي. عشق الحقيقة. إحياء ذكرى غسان. الإعلان عن عاطفة نبيلة تزويرها يدعو إلى الخجل لا كشفها. تكريم الشهيد... أهذه وحدها تقف خلف رغبتني في نشر رسائل كنفاني؟.

ها أنا أستجوب نفسي في لحظة صدق واضبطها وهي تكاد تستتر على عامل نرجسي لا يستهان به: الفخر بحب رجل كهذا أهدي روحه لوطنه وأنشد لي يوماً ما معناه:

«مولاي وروحي في يده إن ضيعها سلمت يده»..

وأعتقد أن كل أنتى تزهو (ولو سراً) بعاطفة تدغدغ كبرياءها الأنثوي.. وأنا بالتأكيد لا أستطيع تبرئة نفسي من ذلك جزئياً!.. ولكنني في

الوقت ذاته أتساءل: إلى أي مدى تضيف رسائل غسان إلى صورته في الأذهان (أو تنقصها)؟.. وأجد بكل إخلاص أن هذه الرسائل تمنح صورته بعداً إنسانياً جميلاً أخذاً! يذكر بشخصية طالما أحبها غسان هي شخصية «الدكتور جيفاكو» التي أبدعها الأديب الروسي «باسترناك» وكان غسان يحبها كثيراً (قدر كرهى لشخصية حبيبته لارا في الرواية وكانت مستسلمة تركت قدرهما يدمرهما معاً بمعنى ما). ولعل غسان كان يعي ذلك حين طلب مني أن أعاهده على نشر تلك الرسائل ذات يوم بعيد كآته البارحة. إنها وجهه الحقيقي أو أحد وجوهه الأصلية.

نعم. كان ثمة رجل يدعى غسان كنفاني. وأعترف لذكراه أن فكرة إحراق الرسائل راودتني مراراً، وأنا أشهد مع الجوقة ضد المشي بين القبور هرباً من الثمن الذي يدفعه كل من يجروء على إقلاق راحة الرياء.. في ممالك الأقنعة واللاؤفاء.

ولكن للرسالة سحراً أبيض لا أسود.. يتحول فيها المرء إلى رقعة ملساء نقية اسمها الورقة، وتخط الروح فوقها رموز الصدق.. الرسالة جموح القلب إلى المستحيل، وشهية الأشواق إلى تقمص اللغة حتى البقاء. والمظروف أحد أكفان لحظات الخلود الصغيرة، حين لا يخطر ببال المرء أنه سيتحول من رجل إلى طابع بريدي!.. ومن عاشق إلى شهيد..

وإلى جانب النرجسية الصغيرة التي لا يخلو منها أحد (بعضنا يعترف وبعضنا يكابر)، ثمة شعور بالجميل أحمله نحو غسان الصديق وسبق لي أن عبرت عنه في حوارٍ مع الدكتور غالي شكري - الذي صدرَ به كتاباً نقدياً له عني - منذ خمسة عشر عاماً.

وهو شعور بالجميل لا يزيده الزمن إلا تأججاً وسطوعاً.. ذات يوم، كنت وحيدة ومفلسة وطريدة، وحزينة، فشهر بعض (الأصدقاء) سكاكينهم بانتظار سقوط (النعجة) - على عادة الدنيا معنا... يومها وقف

كنفاني إلى جانبي وشهر صداقته.. كنت مكسورة بموت أبي، ومحكومة بالسجن لذنب أفخر به، ولكن غسان أنجذني بجواز سفر، ريثما صدر أوائل السبعينات عفو عام شملني..

* * *

نعم. كان ثمة رجل يدعى غسان كنفاني. ورسائله تستعصي على التجزئة - باستثناء المقاطع السياسية^(١) منها التي سبق أن نشرتها في المجلة التي أسسها بنفسه - تخليداً لذكراه في مناسبة سابقة..

أما ما تبقى من الرسائل، فأترككم معها دون أن أنسى التعبير عن أسفي لحريق بعضها (بعض رسائل عام ١٩٦٨ - ١٩٦٩)^(٢) يوم احترق بيتي في بيروت خلال الحرب مطلع عام ١٩٧٦. ولولم أكن قد احتفظت بهذه الرسائل في لندن - مصادفة - لذهبت هي أيضاً طعمة للنيران.. وكل ما أتمناه هو أن أرى رسائلنا كلها منشورة معاً كما حلمنا يوماً.. رسائلنا ورسائله، حتى تلك التي احترقت!...

ولعلي كُنت حنثت بعهدي لغسان على نشر تلك الرسائل، لولم أجد فيها وثيقة أدبية وسيرة ذاتية نادرة الصديق لمبدع عربي، مع الوطن المستحيل والحب المستحيل... وثيقة ثرية بأدب الاعتراف الذي تفتقر إليه مكتبتنا العربية. والرسائل بهذا المعنى تسدّ نقصاً سبقتنا الأمم الأخرى إلى العطاء في مجاله، وتؤسس لنوع جميل من الأدب ما زلنا نتهيب أمام بحاره، ومن أجدد من القلب العربي الثري للخوض في لجته.

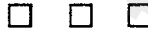
(١) بوسع القارئ مطالعة رسائله الآن كاملة في هذا الكتاب.

(٢) ربما كان غسان كنفاني يحتفظ بمسودات عن رسائله إليّ. وبذلك يصير نشر بقية الرسائل ممكناً إذا تكرم أحدٌ بهذه البادرة الأدبية النبيلة.

انشريها، لا تتركيني أموت!

عند كوبي المكور، حزمة أوراق
وعمر في دفتيها شَمِيْتُ
أحليها، ماضي شبابك فيها
والفتون الذي عليه شَقِيْتُ
أقربئها، لا تحجبي الخلد عني
انشريها، لا تتركيني أموتُ

عمر أبو ريشة



ذائع من سره ما استودعك

ودع الصبر محب ودعك
ذائع من سره ما استودعك
يا أخوا البدر سناء وسنى
حفظ الله زماناً اطالعك
إن يطل بعدك ليلى فلكم
بت أشكو قصر الليل معك

ولادة بنت المستكفي

رسالة غير مؤرخة - لا أذكر التاريخ!

لعلها أول رسالة سَطَرها لي

غادة..

أعرف أن الكثيرين كتبوا لك، وأعرف أن الكلمات المكتوبة تخفي عادة حقيقة الأشياء خصوصاً إذا كانت تُعاش وتُحس وتُنزف على الصورة الكثيفة النادرة التي عشناها في الأسبوعين الماضيين.. ورغم ذلك، فحين أمسكت هذه الورقة لأكتب كنت أعرف أن شيئاً واحداً فقط أستطيع أن أقوله وأنا أثق من صدقه وعمقه وكثافته وربما ملاصقته التي يخيل إلي الآن أنها كانت شيئاً محتوماً، وستظل، كالأقدار التي صنعناها: إنني أحبك.

الآن أحسها عميقة أكثر من أي وقت مضى، وقبل لحظة واحدة فقط مررت بأقصى ما يمكن لرجل مثلي أن يمر فيه، وبدت لي تعاساتي كلها مجرد معبر مزيف لهذه التعاسة التي ذقتها في لحظة كبريق النصل في اللحم الكفيف.. الآن أحسها، هذه الكلمة التي وسخوها، كما قلت لي والتي شعرت بأن علي أن أبذل كل ما في طاقة الرجل أن يبذل كي لا أوسخها بدوري.

إنني أحبك: أحسها الآن والألم الذي تكريهينه - ليس أقل ولا أكثر مما أمقته أنا - ينخر كل عظامي ويزحف في مفاصلي مثل دبيب الموت. أحسها الآن والشمس تشرق وراء التلة الجرداء مقابل الستارة التي تقطع أفق شرفتك إلى شرائح متطاولة.. أحسها وأنا أتذكر أنني أيضاً لم أتم ليلة أمس، وأنني فوجئت وأنا أنتظر الشروق على شرفة بيتي أنني - أنا الذي قاومت الدموع ذات يوم وزجرتها حين كنت أجلد -

أبكي بحرقة. بمرارة لم أعرفها حتى أيام الجوع الحقيقي، بملوحة البحار كلها وبغربة كل الموتى الذين لا يستطيعون فعل أي شيء..
وتساءلت: أكان نشيجاً هذا الذي أسمعه أم سلخ السياط وهي تهوي من الداخل؟

لا. أنت تعرفين أنني رجل لا أنسى وأنا أعرف منك بالجحيم الذي يطوق حياتي من كل جانب، وبالجنة التي لا أستطيع أن أكرهها، وبالحرير الذي يشتعل في عروقي، وبالصخرة التي كتب عليّ أن أجرحها وتجرنني إلى حيث لا يدري أحد.. وأنا أعرف منك أيضاً بأنها حياتي أنا، وأنها تنسرب من بين أصابعي أنا، وبأن حبك يستحق أن يعيش الإنسان له، وهو جزيرة لا يستطيع المنفي في موج المحيط الشاسع أن يمر بها دون أن... ورغم ذلك فأنا أعرف منك أيضاً بأنني أحبك إلى حد أستطيع أن أغيب فيه، بالصورة التي تشاءين، إذا كنت تعتقدين أن هذا الغياب سيجعلك أكثر سعادة، وبأنه سيغير شيئاً من حقيقة الأشياء.

أهذا ما أردت أن أقوله لك حين أمسكت الورقة؟ لست أدري.. ولكن صدقيني يا غادة أنني تعذبت خلال الأيام الماضية عذاباً أشك في أن أحداً يستطيع احتمالها، كنت أجهد من الخارج ومن الداخل دونما رحمة وبدت لي حياتي كلها تافهة، واستعجالاً لا مبرر له، وأن الله إنما وضعني بالمصادفة في المكان الخطأ لأنه فشل في أن يجعل عذابه الطويل الممض وغير العادل لهذا الجسد، الذي أحترق فيه قدرته غير البشرية على الصلابة، ينحني ويموت..

إن قصتنا لا تكتب، وسأحتقر نفسي لو حاولت ذات يوم أن أفعل، لقد كان شهراً كالإعصار الذي لا يفهم، كالمطر، كالنار، كالأرض المحروثة التي أعبدها إلى حد الجنون وكنت فخوراً بك إلى حد لمت نفسي ذات ليلة حين قلت بيني وبين ذاتي أنك درعي في وجه الناس والأشياء وضعفي، وكنت أعرف في أعماقي أنني لا أستحقك ليس لأنني لا أستطيع أن أعطيك حبات عيني ولكن لأنني لن أستطيع الاحتفاظ بك إلى الأبد.

وكان هذا فقط ما يعذبني .. إنني أعرفك إنسانة رائعة، وذات عقل لا يصدق ويوسعك أن تعرفي ما أقصد: لا يا عادة لم تكن الغيرة من الآخرين.. كنت أحسك أكبر منهم بما لا يقاس، ولم أكن أخشى منهم أن يأخذوا منك قلامة ظفرك. لا يا عادة، لم يكن الادعاء والتمثيل والزيف فذلك الشيء الوحيد الذي لا أستطيع أبداً إتقانه ولو أتقنته لما كنت الآن في قاع العالم.. لا يا عادة.. لم يكن إلا ذلك الشعور الكئيب الذي لم يكن ليغادرني، مثل ذبابة أطبق عليها صدري، بأنك لا محالة ستقولين ذات يوم ما قلته هذه الليلة.

إن الشروق يذهلني، رغم الستارة التي تحوله إلى شرائح وتذكرني بألوف الحواجز التي تجعل من المستقبل - أمامي - مجرد شرائح.. وأشعر بصفاء لا مثيل له مثل صفاء النهاية ورغم ذلك فأنا أريد أن أظل معك، لا أريد أن تغيب عني عينك اللتان أعطتاني ما عجز كل شيء انتزعه في هذا العالم من إعطائي. ببساطة لأنني أحبك. وأحبك كثيراً يا عادة، وسيُدمر الكثير مني إن أفقدك، وأنا أعرف أن غبار الأيام سيترسب على الجرح ولكنني أعرف بنفس المقدار أنه سيكون مثل جروح جسدي: تلتهب كلما هبت عليها الريح.

أنا لا أريد منك شيئاً وحين تتحدثين عن توزيع الانتصارات يتبادر إلى ذهني أن كل انتصارات العالم إنما وزعت من فوق جثث رجال ماتوا في سبيلها.

أنا لا أريد منك شيئاً، ولا أريد - بنفس المقدار - أبداً أبداً أن أفقدك.

إن المسافة التي ستسافرنيها لن تحجبك عني، لقد بنينا أشياء كثيرة معاً لا يمكن، بعد، أن تغيبها المسافات ولا أن تهدمها القطيعة لأنها بنيت على أساس من الصدق لا يتطرق إليه التزعزع.

ولا أريد أن أفقد «الناس» الذين لا يستحقون أن يكونوا وقود هذا الصدام المروّع مع الحقائق التي نعيشها.

.. ولكن إذا كان هذا ما تريدينه فقولي لي أن أغيب أنا. ظلي هنا
أنت فأنا الذي تعودت أن أحمل حقيبتتي الصغيرة وأمضي..
ولكنني هذه المرة سأمضي وأنا أعرف أنني أحبك، وسأظل أنزف
كلما هبت الريح على الأشياء العزيزة التي بنيناها معاً..

غسان



عارة .

اعرف انه الكثير يكتبوا له ، واعرف انه الكلمات المكتوبة تحفي عادة حقيقة
 الرثاء خصوصا اذا كانت تعاشي وتحسن وتزين مع الصورة الكسيفة
 الباردة التي يكتبها في راس عينها فيهم .. ورغم ذلك تحبها كانت
 هذه الورقة لاكتب معقول .. كنت اعرف انه شيئا "واهدا" مثلا يستخرج
 انه اقله ولما اجه به صدقه وجمعه وكثافته وربما صلاحته التي
 تدين الى انه انه كانت شيئا "موتوا" ، وستل ، كالإقذار التي
 صنعتها : التي اجه .

الآن اعد حثمة اكثر من اي وقت مضى ، وقد لحظة
 وادع فقط فرت . اجسسى ما بين لرهين شيئا به يرفيه ، وبيت
 في تباقي هذا مجرد مجرد فريف طنة المتلكة التي زفت في
 طفة كبريه الفحل مع اللحم الكسيف .. انه اعد .. هذه الكلمة التي
 ونولها ، لما قدت لي والتي سمعت به علي انه ابدل كل ما في
 طاعة الرهن انه يبذل كي لا اوسنك بدوري .

ابني اصلا : اعد انه وازم الذي كرسينه - ليس اهل ولا
 انه من اعدت انما - ينخر كل عظامي ونزفني في معاينة من ربي
 موت ، اعد انه وازم تعرفه وازم لثة الجراء معابد لثة
 التي تتفح افعه شرفه الارشاح متطولة اعد وانا اذكر اني
 ايضا لم اعد لية امر ما وانني فوشت وانا انتظر الروح على
 نفة بيبي التي - انا الذي قامصك المدعو ذات يوم ونهبت في
 كنته اهدل - ابي بركة ، عبارة م اعرفه في ايام الخوج طبعي ،
 عبوة الحار كل وبغربة كل الموق الذي لا يطعون فعل ايما
 شي .. وتادلت : اكانه شيئا "هذا الذي سمعه ام الخ

السيط وهي كهوي من الداخل ؟

لديك انت تعرفين انني رهيب لاني .. وانا اعرف من
بالجحيم الذي يطوره حياتي من كل جانب ، وبالجنة التي لا يستطيع
ان الكرم ، وبالرحمة الذي يتعمق عروقي ، وبالخبرة التي
كتب علي .. انه امرتها وتبرني الى حيث لا يدري احد .. وانا اعرف
من افعال بائس حياتي .. وانا تنسب من بين اهلها
انا ، وبانه حين يتكلم اني حين انا له ، وهو هزيمة
لا يستطيع المنفي .. موج محيط الشاح ان يربح ربه
انه ... ورغم ذلك فانا اعرف من افعال بائس امله الى حد
السطح ان اغيب فيه ، بالصورة التي تاتي ، اذا كنت
تعتقد ان هذا الفيان يجعله الكعادة ، وبانه سيغير
شيئا من حقيقة الابد .

الذات ما اردت ان اقوله من هذه الورقة ؟
اريد .. ولكنك هديني باعادة اني تقديت فداي الام الماضية
عذابي .. اني اني اعدت يتطرح احتمال ، كنت اجد من
الخارج ومنه الداخل روحا رحمة وبيت لي حياتي كلها تافهة ،
واستحوالا لا يبره له ، وانه الله اعلم وضعني بالمصادفة في
المكان الخاطئ لانه فشل في ان يجعل عذابه الطويل المحض
وغير التارك لهذا الجسد الذي اهتمت فيه قدرته غير البشرية
عن الصلابة كايحيي وموت .
انه تعلمنا لا نكتب ، واهتمت نفسي لو حاولت

ذات يوم انه افعل ، لقد كان سمرًا كالاعصار الذي لا
يفتر ، كالطير ، كالبار ، كالارض المحروقة التي ~~تحت~~ اعينها
الى حد الطون وكنت فخوراً به الى حد ملت نفسي ذات ليلة
ميه قلت بيني وبينه زاتي اني درعي في وجه الناس والسيار
وضعتي ، ولنت اعرف في اي قس اني لا استحق له لدني
لا استطيع ان اعطيه هبات عيني ، ولكن لا اني له استطيع
الامتفاظ به الى الابد .

وكما هذا فقط ما يعذبني .. اني اعرض اناة رائعة ،
وذات عقل لا يصدق وجوع ان تعرضي ما اقصد : لا يا عادة ،
لم تكن الفيرة من الآخرين .. كنت احب اكل منهم بما لا يقاس ،
وه اكله افشى منهم ان ياقدوا من قلامة ظفره . لا يا عادة ،
لم كيه الروعاد والتمثيل والزيغ .. فذل سبي الوعيد الذي لا
استطيع ابدًا اتقانه ولداقتنه لما كنت آله في قاع العالم ..
لا يا عادة .. لم كيه الا ذلك الشور الكيب الذي لم كيه ليغاري في
مثل ذبابة اطلع عليه صدي ، بله لا محالة ستقولين ذات
يوم ما قلبته هذه اليلة .

ان الشروف يذهلني ، رغم السارة التي قوله الى
شراخ وتذكرني بالوف الواهب التي تجعل من سقيل - اعامي -
تجد شراخ .. واستر صغاء لا مثيل له مثل صغاء المنكية
ورغم ذلك ما اريد ان اثلل معك . لا اريد ان تحيب عيني
عينك اللثام اعطاني ما يحجز كل شيء انتزعته في هذا
العالم من اعطاني . ببساطة لا اني احبه . واهبه كثيرًا يا

عارة ، وسيدم الكثير مني ان افقدك ، وانا اعرف ان
غدا اراهم سيرتبه مع الخرج ولكنني اعرف بنفسه المقدار
انه يكون مثل خروج هادي : تلتقه كلما هبت الريح
البرية .

انا لا اريد منك شيئا ، وسيد يتحدثني عن توزيع الانتقالات
يتبادر الذهن ان كل انتقالات العالم انما وزعت في فوفه حيث
رجال ماتوا في سبيلها .

انا لا اريد من شيئا ، ولا اريد - بنفسه المقدار -
اجرا ابداً ان افقدك .

انها صافقة التي ستأخرينك له تجبه عني ، لقد
بنينا اشياء كثيرة بما لا يمكن ، ولقد ان تغتبرك المسافات
ولا ان كهدمك الطبيعة لاننا بنيت على اساس صم لهدمك
لا تطرفه اليه التزعزع .

ولا اريد ان افقد "الناس" الذين لا يتحققون ان يكونوا
وقود لهذا الصدام المروع مع الحقايق التي نعيشها .

.. ولكنه اذا كان هذا ما تريدونه فقولوني لي ان
اغيبه انما ظلي هذا انت فان الذي بقوتك ان اجعل
هقيبتي الصغيرة واضي .

ولكنني هذه بكرة اضفي وان اعرف انني اجعل
وان كل ما اعرفه كلما هبت الريح هو شيئا من الغزيرة التي
بنيتها ما .



HOTEL SCARABÉE

16 Rue 26 Juillet — Le Caire

Ad. Tel. "Scarabotel - Cairo"

Tel. 73791 — 44298 — 44316

R.C. 103694

قاعة غارة إسكندرية

عمارة بلعة - رقم ٣١
مبنى اوتيل كنفوز
الروضة
بيروت



www.alkottob.com

رسالة غير مؤرخة، ولكن سياق الكلام
فيها يدل على أنها كتبت في القاهرة
أواخر تشرين الثاني (نوفمبر) وقبل
١٩٦٦/١١/٢٩ بيوم أو اثنين.

عزيزتي عادة..

مرهق إلى أقصى حد: ولكنك أمامي، هذه الصورة الرائعة التي
تذكرني بأشياء كثيرة عينك وشفطاك وملامح التحفز التي تعمل في بدني
مثلما تعمل ضربة على عظم الساق، حين يبدأ الألم في التراجع. سعادة
الألم التي لا نظير لها. أفتقدك يا جهنم، يا سماء، يا بحر. أفتقدك إلى حد
الجنون. إلى حد أضع صورتك أمام عيني وأنا أحبس نفسي هنا كي أراك.

ما زلت أنفض عن بذلتي رذاذ الصوف الأصفر الداكن. وأمس
رأيت كرات صغيرة منها على كتفي فتركتها هناك. لها طعم نادر كالبهار..
أنها تبتعث الدموع إلى عيني أيتها الشقية. الدموع وأنا أعرف أنني لا
أستحقك: فحين أغلقت الباب وتركتني أمضي عرفت، عرفت كثيراً أية
سعادة أفتقد إذ لا أكون معك. لقد تبتقت كرات صغيرة من الصوف
الأصفر على بذلتي، تتشبث بي مثلما أنا بك، وسافرت بها إلى هنا مثلما
يفعل أي عاشق صغير قادم من الريف لأول مرة.

لن أنسى. كلا. فأنا ببساطة أقول لك: لم أعرف أحداً في حياتي
مثلك، أبداً أبداً. لم أقترّب من أحد كما اقتربت منك أبداً أبداً ولذلك لن
أنساك، لا... إنك شيء نادر في حياتي. بدأت معك ويبدو لي أنني سأنتهي
معك.

سأكتب لك أطول وأكثر.. لقد أجلوا المؤتمر إلى ٣٠ ولكنهم
سيسفروننا غداً، الأحد إلى غزة كي نشترك بماتم التقسيم. يا للهول.

ويبدو أنه لن يكون بوسعي أن أعود للقاهرة قبل الرابع. وسأكون في بيروت يوم ٦ كانون الأول على أبعد تعديل.. إلا إذا قررت من المؤتمر وأتيتك عدواً..

حين قرأ أحمد بهاء الدين حديثك لي خطفه^(١)، بل أجبرني على التعاقد معه لأكتب له مواضيع مماثلة... قال لي وهو يهز رأسه: أخيراً أيها العفريت وجدت من يُسكت شراستك. سينشر الموضوع في «المصوّر»^(٢) التي علمت أنها توزع في كل البلاد العربية أعداداً هائلة وتحوز على ثقة الناس واحترامهم.. ولكنني بالطبع لا أعرف متى..

وزعت كتبك^(٣). تحدثت عنك كثيراً. فكرت بك. بك وحدك.. وأنت لا تصدقين.. وأنت (حين أعذب نفسي في المساء) موجودة في الماي فير^(٤) مع الناس والهواتف والضحك..

حاولي أن تكتبي لي: فندق سكارايبه شارع ٢٦ يوليو. القاهرة فسيكون أحلى ما يمكن أن يلقاني حين عودتي رسالة منك لأنني أعرف أنك لن تأتيني..

أه.. يا عزيزة!

غسان كنفاني

(١) حوار صحافي.

(٢) مجلة المصور المصرية وكان يرثس تحريرها يومئذ أحمد بهاء الدين.

(٣) نسخ من كتاب ليل الغرباء حملها معه إلى القاهرة وكان الكتاب قد صدر قبلها بأشهر.

(٤) مقهى في بيروت - الروشة يجاور بيتي يومئذ كان يطلو لي الجلوس فيه أحياناً مع الأصدقاء.

عزيزتي عادة ..

ولقد انزعجتني هذه : ولكنني اناهي ، هذه الصورة الرائعة التي
تدركني اشياء كثيرة عياله وسفكته وصلاح الكفر التي تعمل في برقي
كلما تعمل ضربة مع عظم الاله ، حينه يبدأ الامم في التراجع . سفارة
الامم التي لا تظفر لذي . افتقله يا صبرتي ، اساور ، يا بحر ، افتقدك الى
هدا جنوباً ، الى هدا اضبح لصورتك انام عيني ، وانا اهيس نفسي ههنا في
اراك .

مازلت انفض عن بذلي مرزاق الصوف الاربعة الداكن . وامن
رأيت كرات صدفية صرغ في كفتي فتركتها هناك . لذي لهم نادر كالماء ..
انما تتبعك الدعوى الى عيني اربك البقية . اللذوع . وانا اعرف انني لذي
استحق ان اخلق الباء وتركتني انضى عرفت ، عرفت كثيرا اية
سفارة افتقدك ان لا انوره معك . لقد تجقت كرات صغيرة من
الصوف الاربعة في بذلي ، تشبه بي في مثلها انا لذي ، وسافرت به الى
هنا مثلما يفعل اي ما بقدر صبر قادره من الرف سولوة .

له انسى . كلا . نأا باهجة اتولدك : ام اعرف هذا ؟ حياتي
كلها ، انا انا . ام اقرب منه اشد كما اقربت منله انا انا . ولذلك
له انساك ، لذي .. انه شيء نادر في حياتي . بدأت محله ويبدو لي انني
سألتني معه .

سألته عن البول رأيت .. بعد ايام الحاضر الى .. ولكنهم سفرونا
غدا ، الاهد الى غرة كذ شترام بهام التسم : را ليجول . ويروانه تس
كلوه وسعي انه اعود لتساورة بين ارباح . وسألقه في برقي يوم 6 كاؤه
الاول يا ابحه بقدره .. الا اذا شرت من الموتر واتيلك عدوا ..

حينه تراهم صديقه ولدهم لذي لك في حفظه ، لي ابي في علم العقائد معه
لاكتبه له سواضج مباحة ... تانك وصوفيزيا منه : افرا اربك العفريت وهدت
من ليكته شراطين . شتر الموضوع في المصور : انني علمت اني توضح
في كل البلاد الدينية اعلمنا كعالمه وقور تم شقة الناس واهلهم .. ولجنتي
بالطبع ساعرف متى ..

وزعت كتبه . تحدثت عن كثير . فذرت له . له وحده .. وانت لذي
صديقه .. وانت (حينه اغضب نفسي في بساو) حوفورة في الاماي فير مع
الناس والهلوات والحقين ..

عالمه انكيتي في : فندبه كالمياه شارع في ٢٦ يوليو . لقالوة
سكوه اعلى ما ليكنه ان حيقاب عليه عودتي رسالة منله لاني اعرفه
انه له يا تيم ..

آه .. يا عزيزة !

مكتبت

فندق الأندلس - غزة
EL - ANDALUS HOTEL
- GAZA

كازينو هويدي - غزة
HAWAIDI CASINO
- GAZA

Tel 352 ت: ٣٥٢

كازينو الأندلس - غزة
ANDALUS CASINO
- GAZA

فندق قصر البحر - غزة
SEA PALACE HOTEL
- GAZA

Tel 653 ت ٦٠٣

غزة في ٢٩/١١/١٩٦٦ Gaza

غادة

كل هذه العناوين المسجلة فوق، على ضخامتها، ليست إلا أربع طاولات على شاطئ البحر الحزين، وأنا، وأنت، في هذه القارورة الباردة من العزلة والضجر. إنه الصباح، وليلة أمس لم أنم فقد كان الصداع يتسلق الوسادة كجيوش مهزومة من النمل، وعلى مائدة الفطور تساءلت: هل صحيح أنهم كلهم تافهون أم أن غيابك فقط هو الذي يجعلهم يبدون هكذا؟ ثم جئنا جميعاً إلى هنا: أسماء كبيرة وصغيرة، ولكنني تركت مقعدي بينهم وجئت أكتب في ناحية، ومن مكاني أستطيع أن أرى مقعدي الفارغ في مكانه المناسب، موجوداً بينهم أكثر مما كنت أنا.

إنني معروف هنا، وأكاد أقول «محبوب»، أكثر مما كنت أتوقع، أكثر بكثير. وهذا شيء، في العادة، يذلني، لأنني أعرف بأنه لن يتاح لي الوقت لأكون عند حسن ظن الناس، وأنني في كل الحالات سأعجز في أن أكون مثلما يتوقعون مني. طوال النهار والليل أستقبل الناس، وفي

الدكاكين يكاد الباعة يعطونني ما أريد مجاناً وفي كل مكان أذهب إليه أستقبل بحرارة تزيد شعوري ببرودة أطرافي ورأسي وقصر رحلتي إلى هؤلاء الناس وإلى نفسي. إنني أشعر أكثر من أي وقت مضى أن كل قيمة كلماتي كانت في أنها تعويض صفيق وتافه لغياب السلاح وأنها تنحدر الآن أمام شروق الرجال الحقيقيين الذين يموتون كل يوم في سبيل شيء أحترمه، وذلك كله يشعرنني بغربة تشبه الموت وبسعادة المحتضر بعد طول إيمان وعذاب، ولكن أيضاً بذل من طراز صاعق.

ولكنني متأكد من شيء واحد على الأقل، هو قيمتك عندي.. أنا لم أفقد صوابي بك بعد، ولذلك فأنا الذي أعرف كم أنت أذكى وأنبيل وأجمل. لقد كنت في بدني طوال الوقت، في شفتي، في عيني وفي رأسي. كنت عذابي وشوقي والشيء الرائع الذي يتذكره الإنسان كي يعيش ويعود.. إن لي قدرة لم أعرف مثلها في حياتي على تصورك ورؤيتك.. وحين أرى منظراً أو أسمع كلمة وأعلق عليها بيني وبين نفسي أسمع جوابك في أذني، كأنك واقفة إلى جوارِي ويدك في يدي. أحياناً أسمعك تضحكين، وأحياناً أسمعك ترفضين رأِي وأحياناً تسبقينني إلى التلطيح، وأنظر إلى عيون الواقفين أمامي لأرى إن كانوا قد لمحوك معي، أتعاون معك على مواجهة كل شيء وأضع معك نصل الصدق الجارح على رقابهم. إنني أحبك أيتها الشقية كما لم أعرف الحب في حياتي، ولست أذكر في حياتي سعادة توازي تلك التي غسلتني من غبار وصدأ ثلاثين سنة ليلة تركت بيروت إلى هنا.

أرجوك.. دعيني معك. دعيني أراك. إنك تعنين بالنسبة لي أكثر بكثير مما أعني لك وأنا أعرف ولكن ما العمل؟ إنني أعرف أن العالم ضدنا معاً ولكنني أعرف أنه ضدنا بصورة متساوية، فلماذا لا نقف معاً في وجهه؟ كفي عن تعذيبي فلا أنا ولا أنت نستحق أن نسحق على هذه الصورة. أما أنا فقد أذلني الهروب بما فيه الكفاية ولست أريد ولا أقبل الهروب بعد. سأظل، ولو وُضع أطلس الكون على كتفي، وراءك ومعك.

ولن يستطيع شيء في العالم أن يجعلني أفقدك فقد فقدت قبلك، وسأفقد بعدك، كل شيء.

«إنني لا أستطيع أن أكرهك ولذلك فأنا أطلب حبك»^(١).. أعطيك العالم إن أعطيتني منه قبولك بي.. فأنا، أيتها الشقية، أعرف أنني أحبك وأعرف أنني إذا فقدتك فقدت أئمن ما لدي، وإلى الأبد..

سأكتب لك وأنا أعرف أنني قد أصل قبل رسالتي القادمة، فسأغادر القاهرة يوم ٥ كانون وتأكدي: لا شيء يشوقني غيرك.

غسان كنفاني

(١) هذه العبارة هي استشهاد لغسان من إحدى رسائله الوجدانية لي المنشورة في زاوية «أوراق خاصة» في جريدة المحرور، وغير المنشورة بعد في «الأعمال الكاملة لغسان كنفاني». وكان غسان يحمل في مسودات رسائله إليّ التي ينشرها وذلك بعد أن تقوم المطبعة بصفها، وقد احتفظت بتذكارات منها بخطه، لكنني لم أنشرها في هذا الكتاب، إذ من المفروض أن تصدر في مجلد خاص بها في «الأعمال الكاملة لغسان كنفاني» ما دام قد اختار أن ينشرها بنفسه في الصحف خلال حياته.

في قدرة اى حذاء عياني مع فتوك ورؤيتك .. وحين ارى منظرًا او اسم كلمة واحده
يرى بيني وبينه نفس اسم هوايه اذني ، كأنه واقفة الى جوارى ويدك يري . احيانًا اسم
تفكيني ، واهيانًا اسمك ترضين رأبي واهيانًا لقبيني الى التعليل ، وانظر الى عيوني
الواقفين امامي يري ان كانوا قد تحول معي ، اتواوه معك نبع مواهبه كما تحب واضح
معك نصل الصوره الخارج مع رقابهم . اني احبه ايتي لبقية كما ان اعرف اني ايتي ،
ولست افكر في عياني معارة توازي تن التي غلقتي مع غبار وصولًا لثانيه سنة
ليلة تركت بيروت الى صنف

ارحله .. وعيني معك . وعيني اراك . اني تعزين بالنسبة الى الكو يدي ما
المعني له . وانا اعرف ولكنه ما العمل ؟ اني اعرف ان العالم هذا معًا . وكنت اعرف انه هذا
صورة متاوية ، فلماذا لا نقف معًا ؟ كفي عن تحذيبي فلانا ولا انت
نقده ان نحدد مع هذه الصورة . اما انا فقد ازلني الطروب يا فيه الاعماع ولست اريد
ولا اقبل الطوب بعد . سأظل ، ولو وضع اهلن الكره مع كشتي . وروك ومعك . ولسه
يتغير شيء في العالم امر يجعلني اتفقد فهد فقدت قلبه . ولست افقد يدك . كما شيء .
انني لا استطيع ان اركض . وذلك نانا اذهب حين * .. اعلم ان العالم ان اعطيتني
منه قبولتي .. فانا . ايتي لبقية . اعرف اني ايتي . اعرف اني اذا فقدت فقدت
انمن ما لدي . والى الأبد ..

لأنك وانا اعرف انني قد اهل قين يالدي العارفة . من عماره الفلوق يوم ه كانوا .
وتألموني : لشيء لثقتي غيرك .

كاتب

عزيزتي عادة

صباح الخير..

ماذا تريدین أن أقول لك؟ الآن وصلت إلى المكتب، الساعة الثانية ظهراً، لم أنم أبداً حتى مثل هذه الساعة إلا أمس ودخلت مثلما أدخل كل صباح: استترق النظر إلى أكوام الرسائل والجرائد والطرود على الطاولة كأنني لا أريد أن تلاحظ الأشياء لهفتي وخيبيتي. اليوم فقط كنت متيقناً أنني لن أجد رسالة منك، طوال الأيام الـ ١٧ الماضية كنت أنقب في كوم البريد مرة في الصباح ومرة في المساء. اليوم فقط نفذت يدي من الأمر كله، ولكن الأقدار تعرف كيف تواصل مزاحها. لقد كانت رسالتك فوق الكوم كله، وقالت لي: صباح الخير! أقول لك: دمعتُ.

منذ سافرتِ سافرتِ أني، وإلى الآن ما تزال في دمشق وأنا وحدي سعيد أحياناً، غريب أحياناً وأكتب دائماً كل شيء إلا ما له قيمة.. حين كنتِ على المطار كنتِ أعرف أن شيئاً رهيباً سيحدث بعد ساعات: غيابك وتركي للمحرر^(١)، ولكنني لم أقل لك. كنتِ سعيدة ومستثارة بصورة لا مثيل لها وحين تركتك ذهبت إلى البيت وقلت للمحرر أن كل شيء قد انتهى.

إنني أقول لك كل شيء لأنني أفتقدك. لأنني أكثر من ذلك «تعبتُ من الوقوف»^(٢) بدونك.. ورغم ذلك فقد كان يخيل إلي ذات يوم إنك

(١) جريدة المحرر البيروتية، حيث كان غسان يعمل.

(٢) استشهاد من زاويته «أوراق خاصة». راجع هامش ص ٤١ من هذا الكتاب.

ستكونين بعيدة حقاً حين تسافرين .

ولقد أَلتني رسالتك. ضننتِ عليّ بكلمة حارة واحدة واستطعت أن تظلي أسبوعاً أو أكثر دون أن أخطر على بالك. يا للخيبة! ورغم ذلك فما أنا أكتب لك: مع عاطف^(١) شربنا نخبك تلك الليلة في الماي فير^(٢) وتحدثنا عنك وأكلنا التسقية^(٣) بصمت فيما كان صاحب المطعم ينظر إلينا نظرتَه إلى شخصين أضاعا شيئاً.

متى سترجعين؟ متى ستكتبين لي حقاً؟ متى ستشعرين أنني أستحقك؟ إنني انتظرت، وأنتظر، وأظل أقول لك: خذيني تحت عينيك ..

غسان

(١) صديق حميم من أصدقائي وغسان.

(٢) مقهى في الروشة.

(٣) فته الحمص وكنا نذهب آخر الليل للعشاء في مطعم شعبي يعدها في (الطريق الجديدة) قرب المقاصد، حتى صار صاحب المطعم يتوقع حضورنا كل ليلة مع الأصدقاء، ويعاتبنا إذا غبنا!.

عزیزتی عازمہ

صبح بخیر ..

صدا ترسیب ہے۔ اقول ان؟ مزہ و صحت لا املکت ، بساعۃ ہائیتہ فلنمرا ، ہم اپنے اہل
ہقی جیل ہلکے اساعۃ ان امس و رفتت مٹھا اڑین کی جمیلع : استرحہ بظہر ال اوفام ارسال و اربلا
والفعود کا اعلاولہ کا اتی لا ابرہ انہ - نظر مرشیا ، الفتی و ظہریجی . ایوم نقطہ آیت "جسٹیا"
من اعد رسالۃ : ذہ : طوال المرآۃ ال ۱۷ الاضیہ آیت الفتی فی ایوم المرد مرۃ فی اجمیلع و مرۃ فی
اسباؤ . ایوم نقطہ بقیہ بلیت سد المرآۃ ، وکامہ مرشد رشتت شیف کو ایوم سنوایہ .
کاتت رسالتی مؤسہ الملک لہ ، وکاتت بی : صیلع اذہ ا اقول ان : رفتت .
"بذ : سرفوت سرفوت آیت ، وکات المرآۃ ما تران فی رشتر ونا وفتی . بیو ا انا
بحریت ایلیا " و آیت والا " کی ان ان ۱۷ : فتی آیت ح - اعط - کاتت ارضانہ انا
رعینا " سرفوت بعد ساعات ا بقیہ و تکی تجور ، وکاتت م اقول . کاتت سرفوت وفتی
وکتب شذرہ جمیرۃ ک مقبل ذہ و سید کرانیہ ذہریہ " ال ایلیت وکتب سرفوت انہ کی ای
نصا .

انہی اقوال سے اُن نے اپنے سنی اور بدعتیوں کو روک دیا اور فرمایا کہ "جو شخص میری سنت سے روکے گا وہ میری سنت سے روکے گا۔" اور فرمایا کہ "جو شخص میری سنت سے روکے گا وہ میری سنت سے روکے گا۔"

دوسرے ایک حدیث میں ہے کہ "جو شخص میری سنت سے روکے گا وہ میری سنت سے روکے گا۔" اور فرمایا کہ "جو شخص میری سنت سے روکے گا وہ میری سنت سے روکے گا۔"

انہی حدیثوں سے ظاہر ہے کہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم نے اپنے امت کو اپنی سنتوں سے روکنے سے منع کیا ہے۔ اور انہی حدیثوں سے ظاہر ہے کہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم نے اپنے امت کو اپنی سنتوں سے روکنے سے منع کیا ہے۔

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

غادة.. يا حياتي!

كيف تقولين لي: «لا ألومك، لك الحق... في الدفاع عن توقيتك لرحلة صيد انتهت؟» كيف تفكرين لحظة واحدة بأن هذا التعيس الذي ينتظر كما ينتظر وطناً ضائعاً يفعل ذلك؟ كيف تعتقدين أن ذلك الرجل الذي سلخت الشوارع قدميه، كالمجنون الطريد، ينسى أو يوقت أو يدافع عن نفسه أو يهاجم؟ ولكنني أغفر لك، مثلما فعلت وأفعل وسأظل أفعل. أغفر لك لأنك عندي أكثر من أنا وأكثر من أي شيء آخر، لأنني ببساطة «أريدك وأحبك ولا أستطيع تعويضك»^(١)، لأنني أبكي كطفل حين تقولين ذلك، وأحس بدموعي تمطر في أحشائي، وأعرف أنني أخيراً مطوق بك، بالدفع والشوق وأنني بدونك لا أستحق نفسي!.

أنت، بعد، لا تريدني أخذي، تخافين مني أو من نفسك أو من الناس أو من المستقبل لست أدري ولا يعنيني. ما يعنيني أنك لا تريدني أخذي، وأن أصابعك قريبة مني، تحوطني من كل جانب، كأصابع طفل صغير حول نحلة ملونة: تريدها وتحشاها ولا تطلقها ولا تمسكها ولكنها تنبض معها.. أعرف أعرف حتى الجنون قيمتك عندي، أعرفها أكثر وأنت غائبة وأمس رأيت عمارات الروشة، صدقيني، عارية مثل أشجار سلخها الصقيع في البراري، تظن عروقها الرفيعة في وجه السماء كأنها السياط.. بدونك لا شيء. وهذا يحدث معي لأول مرة في عمري التعيس كله.

لماذا أنت معي هكذا؟ إنني أفكر بك ليل نهار، أحياناً أقول أنني سأخلصك مني ويكون قراري مثل قرار الذي يريد أن يقذف نفسه في الهواء، أحياناً أقول أنني سأتجدد، انني، كما توحين لي أحياناً، أريد أن

(١) استشهاد من زاويته «أوراق خاصة» في جريدة المحرر. راجع هامش ص ٤١ من هذا الكتاب.

أدافع وأهاجم وأغير أسلوبِي، أحياناً أراك: أدخل إلى بيتك فوق حطام الباب وأضمك إلى الأبد بين ذراعي حتى تتكونا من جديد، عظماً ولحمًا ودماً، بحجم خاصرتك.. ولكنني في أعماقي أعرف أن هذا لن يحدث وأنتي حين أراك ساتكوم أمامك مثل قط أليف يرتعش من الخوف.. فلماذا أنت معي هكذا؟ أنت تعرفين إنني أتعذب وإنني لا أعرف ماذا أريد. تعرفين إنني أغار، وأحترق وأشتهي وأتعذب. تعرفين إنني حائر وأنني غارق في ألف شوكة برية.. تعرفين.. ورغم ذلك فأنت، فوق ذلك كله، تحوليني أحياناً إلى مجرد تافه آخر، تصغرين ذلك النبض القاتل الذي يهزني كالقصبية، معك وبدونك.

أحياناً تأخذيني على محمل أقل ذكاء مما ينبغي. من الذي رأيته، أيتها الغالية، في الثامنة والنصف من آخر ليلة كنت فيها في بيروت؟ إنه شيء تافه وصغير ولكن يبدو أنني أحياناً أتوقف لأقتلع من راحة يدي شوكة في حجم نصف دبوس.. ألا تفهمين أن هذا الذي ينبض داخل قميصي هو رجل شرقي خارج من علبة الظلام؟ حتماً تعرفين. أنت هائلة في اكتشاف مقتلي لذلك تتهربين مني أحياناً، لذلك «لا تقولين» ولذلك بالذات تقولين!

لنجعل من نفسينا معاً شيئاً أكثر بساطة ويسراً، لنضع ذراعينا معاً ونصنع منهما قوساً بسيطاً فوق التعقيدات التي نعيشها وتستنزفنا.. لنحاول ذلك على الأقل. أنت عندي أروع من غضبك وحزنك وقطيعتك. أنت عندي شيء يستعصي على النسيان، أنت نبيّة هذا الظلام الذي أغرقتني أغواره الباردة الموحشة وأنا لا أحبك فقط ولكنني أوّمن بك مثلما كان الفارس الجاهلي يؤمن بكأس النهاية يشربه وهو ينزف حياته، بل لأضعه لك كما يلي: أوّمن بك كما يؤمن الأصيل بالوطن والتقي بالله والصوفي بالغيب. لا. كما يؤمن الرجل بالمرأة!

كتبت لك منذ أربعة أيام أو أكثر رسالة، لم أكن أعرف عنوانك قبل ذلك، وكتبتها يوم وصلت رسالتك إلي، بعد خمسة أيام من وصول رسالتك

لعاطف^(١).. وأرسلت لك فيها قصاصات (يقولون هذه الأيام في بيروت، وربما أماكن أخرى، ان علاقتنا هي علاقة من طرف واحد، وانني ساقط في الخيبة. قيل في الهورس شو^(٢) إنني سأتعَب ذات يوم من لعقِ حذائك البعيد. يقال أنك لا تكثرِثين بي وانك حاولت أن تتخلصي مني ولكنني كنت ملحاحاً كالعلق. يشفقون علي أمامي ويسخرون مني ورائي، ويقرأون لي كما يقرأون نماذج للشاعر المجنون^(٣)... ولكن ذلك كله يظل تحت ما أشعره حقاً، فأنا أحبك بهذه البساطة والمواصلة التي لا يمكن فهمها في شارع الحمراء، ولا على شفاة التافهين).

أرى عاطف أحياناً: يمر على مكتبي وتحدث عنك ولكنه يشعر بالبرد فيذهب إلى بيته، أما أنا فالبيت أكثر برداً من أن أذهب إليه.. يسألني عن شخص مسافر إلى لندن، أعتقد أنك طلبت منه أن يرسل شيئاً لك.. إنه في صحة جيدة ويضحك دائماً وموجود في كل مكان، كما تعرفينه، ومنذ أسبوع تقريباً، ذهبنا وشربنا معاً كأساً صامتاً حوالي ساعتين. وأمس ليلاً كان هنا وقال لي انه سيكتب لك، فقلت له: أما أنا فقد فعلت. ضحك وقال: ١٢ صفحة؟

منذ ذهبتِ سافرت أني لدمشق، وحتى الآن لم تعد فالطريق مغلق بالثلوج والجو بارد ولكن سيارتي تتقد دائماً وعجلاتها لا تكف عن سلخ الإسفلت، دونما هدف. الراديو أحرص ما يزال، والشوفاج فوضى، والزمور لا يصرخ إلا إذا انعطفت للسيار والسائقون الآخرون مستعجلون كما كنا نراهم دائماً لا أفتح لهم الطريق إلا مع شتيمة ولبلة أمس غيرت عجلًا تحت المطر قرب المكان الذي غيرت فيه ذات يوم عجلًا صعباً معك، وحين انتهيت خيل إلي أن وجهي كان مغسولاً بالدموع لا بالمطر: فقد فتحت باب السيارة وتوقعت أن يسقط رأسك المتكيء على الباب، كما حدث ذلك

(١) عاطف السمرا.

(٢) أحد مقاهي الأدباء في الستينات في بيروت.

(٣) كان غسان يكتب نصوصاً وجدانية في زاويته الخاصة بجريدة المحرر ولعلها لم تجمع بعد في كتاب.

اليوم.

تعالى، يا أجمل وأذكى وأروع قطة في هذا العالم كله. ألم تشتاقي
لماكس والقرود المدهوش والحطاب الغاضب والعجانة^(١)؟ ألم تشتاقي
لغسان؟

كنت أسفاً جداً حين كتبت لك عن تلك الألمانية^(٢) التي نسيت
اسمها الآن. خشيت أن تتصورى أنني أمتع نفسي بطريقة أو بأخرى.
لا. لقد كانت كأساً باردة لكحول عمياء أمام طاولة رجل طريد. إن الحرية
لا يمكن أن تكون شيئاً يأتي من الخارج، وأنا الآن طليق إلى أبعد حد،
ولكنني حين التفت أسمع أصوات السلاسل الغليظة تخش وترن في
صدري..

أريد أن أكتب لك، أن أكتب لك كل لحظة، ليل نهار: في الشمس
التي بدأت تشرق بحياء، تحت سياط الصقيع، في الصباح البارد والمساء
والعتمة، في ضياعي وجنوني وموتي.. (اطمئني: إن صحتي جيدة، وأخر
ثلاثة أيام كنت مريضاً جداً ولكنني لم أنم، واليوم أحسن) لم أكتب
شيئاً في روايتي، أعمل في المحرر كما كان يعمل العبيد العرايا في
التجديف، لدي فكرة لمسرحية سترينها في الأوراق الخاصة^(٣) لا أعرف
متى سأكتبها.. أعرف فقط أنني أنتظر.

أنتظر. أنتظر. أنتظر. وأفتقدك أكثر مما في توق رجل واحد أن
يفتقد امرأة واحدة، وأحبك، ولن أترك أبداً سمائي التي تحدثت عنها
«تفجر الثلج»، إنني فخور بأثار خطواتنا ولا أريد لشيء، حتى السماء،
أن تكنسها.

غسان كنفاني

بيروت (الآن وغداً وإلى الأبد)

ولكن صادف أن كتب في ١٩٦٧/١/٢٤

-
- (١) تماثيل في بيتي كان يطلق غسان عليها الأسماء ويحاورها وعلى رأسها بومة أسماها ماكس..
(٢) نسي أن يكتب لي عنها ونسي أنه نسي!
(٣) اسم زاوية في جريدة المحرر يومئذ.

عادة .. يا هياقي !

كيف تقولين لي ؟! الودود ، له لطفه ... في الدفاع عن توقيتك (صلة صيد انككت) ، كيف تكلمه لحظة واحدة بأنه هذا اليقين الذي ينتظرك كما ينتظر وطنها "صباحنا" يعني ذلك ؟ كيف تعتقدين انه ذل الرجل الذي سلخنا الشوارع مقلده قديمه ، كالمجنون الهزلي ، ينسى او يوقفت او يدافع عنه نفسه او يراهم ؟ ولكنني اغفرول ، فلما فعلت ما فعلت وسأظل افعل . اغفرول لاني عندي اثم من انا واكثر منه اي شيء آخر ، لاني ببساطة اريدك واصبك وللاستطاع تعويضك " ، لاني ابي كطف من تقولين ذلك ، وامس يدودي تظن ؟ اماني ، واعرف انني افيرا مطوق به ، بالدف والسوق وانني بدون الاستحقاق نفسى !

انت ، بعد ، لا تريد ان اهزي ، تخافين مني او من نفسي او من لباس او من المستقبل لست ادري وللاحيثيني . ما يجيني انه لا تريد ان اهزي ، وله اصابع قريبة مني تطوي من كل جانب ، كاصابع طفل صغير في حول خجلة ملونة : تريدنا وتناها ولا تطغى ولا تتركنا ، ولكنك تنبض عندي .. اعرف حتى الطيون قمتك عندي ، اعرف انك وانت غائبة وامس رأيت عجلات الروتة ، سدديتي ، عاريت من شجار شجرة الصيغح في الباري ، لهن عروقت الريفية في وجهه يسار كاذب السيلط .. بدون لاشي . وعذابت دن سول مرة في عرق اليقين كله .

ماذا انت معي هكذا ؟ اني اعلم به ليل نهار . اهيانا اقول اني ساغص مني وكويه قاري من قرأ الذي يريد انه يقذف نفي في الهواء ، اهيانا اقول اني ساكند ، اني ، كما توحيين لي اهيانا ، اريد ان ارفع وانفاجم وانجبر اسلوبي ، اهيانا اراك : ادخل ال بيتك فوجه نظام ليلاب واصنع ال اديبيه ذرايني حتى تتكلموا من بعيد ، عظما وطها ووجا ، بحجم حاسرك .. ولكنني في الجماع اعرف ان هذا له حوت وانني هيبه اراك ساكوم اما مني حتى عطف اليه يرتكس من الشوف .. فلما انت معي هكذا ؟ انت ترميه اني اعذب وانني لا اعرف عازا اريد . تعرفين اني اعلم ، واصترة واشتقي واعذب . تعرفين اني طائر وانني عارته في الف سوكة بربح .. تعرفين .. وترتم ذلك مانت ، فوجه ذلك كله ، قوليني اهيانا ال نبرد آفة آخر ، تصغرين من النبض القائل الذي يذني كالنصبة ، وكل وبدون .

اهيانا تاخذيني مع كل اقل ذكرا كما ينبغي ، من الذي رأيت ، اني اعلم ، في الثامنة والنصف من ظهر ليلة كنت مري في بيوت ؟ انه شي آفة وصغير ولكنه يبدو اني اهيانا اوقفه لا يتبع من راحة يدي سوكة في حجم نصف دوس .. الاتقنين ان هذا الذي ينفض راحل قيمي هور من شرقي طارح من عليه الظلام ، صما تعرفين . انت هائلة في افساف عيني لذن سترين مني اهيانا ، لذن لا تقولين ، وذلن بالذات تقولين !
تخيل من نفسي معا شيئا انك ساكند وسيرا ، لضع ذراعنا منا وضع
منها قوسا بيضا فوجه التعقيدات التي لغيتك وتعرفنا .. لخاله ذل من ال ارض
انت عندي اروع من غضبيك وهزك وتطبعين . انت عندي شي يتخطى من الشبان ،
انت نبتة لهذا الظلام الذي احرقتني انواره الباردة الموشة ، وانا اصابع فقط ولكنني
من به مثلنا كانه الفارس الباسقي يوسن بكاء ، الشجرة يربح وهو يترك هياته ، في لاشي
منه كما في : اوسن به كما يوسن ال اصيل بالوطن والذقي بالذات والاصوفي بالذات . لا . لا . لا .
يوسن ال اصيل بالذات بالذات !

كثيرة منذ اربعة ايام او اكثر رسادة ، لم اكن اعرف عنوانه حتى كان ، وكثيراً يوم وصلت رسالتي
في ، بعد خمسة ايام منه وبمؤثر رسالته لطافت .. وايدت ان فينا صحة مضامين (يقولون هذه الايام
هي يوم ، وربما اكثر من ذلك ، انه لا يتقن ان يهي علاقة له طرف واحد ، وانني سأقرب في الخيرة . قين في
بمدرس شو انني سأقرب ذات يوم منه بعد هذا الجيد . يقال انه لا يكتب لي وان هذا هو
تتبعني حتى وكنت كنت نجاهاً كالذئب . فيقوم في امامي ويخبرني حتى ورائي ، ويقراونه في كما يقراونه
تاريخنا لشاعرنا طوبون .. ولكنه كان كله يقل كت يا كعمره وقتاً ، فانا اصعب هذه السابعة والمواصلة
التي لا يمكن فطرح او شرح فيهم ، وقد اني سفاها المتأخرين) .

اريد عطف اعياناً في راي كعيني وانتدث على ولايه يشكر بالبريد فيذهب الى بيته ، اما ان
تاليفه انك بمراد انه انه اذهب الى الله .. سائلي عن شخص مناه الى لفته ، اعطه الى طلبك منه انه
يريد سائلي .. انه في دقة جيدة وضيق راي وهو يعود في كل عام ، كما تعرفينه ، وعند اسبوع تقريبا
ذاتنا وشركنا وما كالتا عمالنا الساعين . وان اربلا كما هنا وقال لي انه سكت في ، فقلت
له : اما اني فقد عدت . فقل وقال : كما عرفت ؟

منذ ذهبت سافرت الى لاديه ، ومنه انه لم يقد فالظرفه مغلوب العلوخ والجو بارد وكثير
سيارتي تقعد لاما وتبذلها ما كنت عن سبي الرسفوت وروما هدف . الاديو اهدس جازال ، والسوق
قدي ، وانعمود لا يغير ان اذا انظمت السيارة والسائقون انزودوا يتجهون كما كانوا زاهم وان
لا اضغرت الاظرفه اللذي مع . في رايه وايه اس سبقت بيلد في اسطر قرب المظالم الذي في
قريبه ذات يوم كحللا نوحيا صدي ، وهي انصفت حين الى انه وعدي كانه . ممولاً بالذوق لا ينظر
فقد ذقت باب السيرة وقواته انه يقطع رأسه المشي في الباب ، كما حدثت ذلك اليوم .

فقال : يا اخي انك واروح تطبه في هذا العام كله . ام آتينا في عاكس والقرد
مدعوش والطاب الطائيب والحقارة ؟ ام تشفتي في رساله ؟
كنت اسأله هذا حين كنت ان انه كان في عازية التي نسبت اسمها له . حينه انه
قعود التي اسبح نفسه بطريقه او بانزله . لا . بعد كانه كالتا باردة . كاحول جياء اما محاولة
بل طوي . انه امرت له اني انه كونه سائلي ياتي به المارح ، وانما انه طلبه الى احد هـ
لكاني حين التقت اسبح الصلوات السلاسل التي نظمت فيهم وترن في صدي ..

اريد ان اكتبه له ، انه آتيت في كل لحظة ، بل نكر : ووش التي بدأت تشرفه جياء ،
تت سباط الصنيع ، في الصباح يبارد والشار والذاعة ، في ضياحي وهنوز في وقت .. (الظن
في صيد ، واطر كواته ايام كنت وشيا عيدا وكنتي لم اني ، واليوم احسن) لم اكتبه شيئا
واخي ، انني في المرح كما كانه من العبيد الموالين في التديف ، لدي نكرة لمصرعية سترينها
لوانه في صيد سادعت حتى سائلي .. اعنت مني التي انظرك .

انظرك . انظرك . انظرك . انظرك . انظرك . انظرك . انظرك . انظرك . انظرك . انظرك . انظرك .
وانه ، واديه ، وله انه اني سائلي التي سبقت على تقير اليك ، التي في نور بان
ظوظنا ولا اريد شيئا ، في السماء ، انه ككتس .

بروت (الانه انزل وان لم يرد)
ولكنه يتوقف انه ككتس في كل يوم
www.alkottob.com

عزيزتي غادة..

وصلتني رسالتك، فيهما قصاصات من الأوراق الخاصة^(١) بحركة صغيرة، شحطة واحدة فوق نهايات الحروف أعدتِ إلى عالمي المعنى والتوهج وجلدني الشوق لك وأسرنى ذكاؤك الذي أفتقده بمقدار ما أفتقد كفيك وكتفيك..

أيتها الشقية الحلوة الرائعة! ماذا تفعلين بعيداً عني؟ أقول لك همساً ما قلته اليوم لك على صفحات الجريدة^(٢): «سأترك شعري مبتلاً حتى أجففه على شفتيك!» أنني أذوب بالانتظار كقنديل الملح. تعالي!

أحس نحوك هذه الأيام - أعترف - بشهوة لا مثيل لها. إنني أتقد مثل كهف مغلق من الكبريت وأمام عيني تتساقط النساء كأن أعناقهن بترت بحاجبيك. كأنك جعلتِ منهن رزمة من السقط محزومة بجدولتك الغاضبة الطفلة.. لا. ليس ثمة إلا أنت. «إلى أبدي وأبدك وأبدهم جميعاً»... وسأظل أضبط خطواتي ورائك حتى لو كنتِ هواءً.. أسمع من أيتها الشقية الرائعة؟ حتى لو كنتِ هواءً! ولكنني أريدك أكثر من الهواء. أريدك أرضاً وعلماً وليلاً... أريدك أكثر من ذلك. وأنت؟

ليس لدنيا أخبار كثيرة هنا. أني عادت فجأة. أرى عاطف^(٣) وكمال^(٤)

(١) كان يكتب رسائل وجدانية في زاويته (أوراق خاصة) ويرسلها إلي في لندن (راجع هامش الصفحة ٤١) فكتبت له مرة رسالة على هامش رسالته.

(٢) استشهاد من زاويته «أوراق خاصة» في جريدة المحرر.

(٣) عاطف السمرا. (٤) كمال طعمة.

غالباً وأمس سهرتُ مع ارتين^(١) ومع فواجعه و«بوزاته».. عاطف جاء
إمس ودخل إلى المكتب غاضباً وتشاجر مع كمال لأنه لم يره منذ فترة ثم
سألني: أين كنت يوم السبت؟ عادة أرسلت شخصاً وفتشتُ عليك في
المكتب والبيت طوال الليل والنهار! يا عاطف العزيز كنت في البيت وفي
المكتب! لا. نعم. وانتهى الأمر هنا. غداً صباحاً سأسافر إلى القاهرة
لحضور مؤتمر الصحفيين العرب وسأعود الاثنين أو الأحد.. هل سأجدك
هنا؟ سيكون عنواني هناك: (بواسطة مروان كنفاني، جامعة الدول العربية،
قسم فلسطين). اكتبني لي، فقد يكون المطر غزيراً هناك، أحتاج إلى حروفك
لأفرش أمامها راحتِي التواقِتين لك!.

بلى. خبر مهم: أحدهم ورَّع خبراً على الصحف يوم الجمعة الماضي:
«سيتم في جو عائلي، خلال الأسبوع القادم، زفاف الزميل غسان كنفاني
على الأديبة المبدعة غادة السمان..» المحررون في الصحف عرفوا فرموا
الخبر. في آخر لحظة اتصل بي زميل من صحيفة ما يريد أن يبارك لي
ويعاتبني على عدم إخباره.. ثم أخذ يركض إلى المطبعة فشال السطرين
الهائلين عن الطابعة.. مرت العاصفة وأنا غير مكترث.. لم تكن غلطة
الذي دس الخبر ولكن غلطة السنوات الخمس التي مرت، لا شيء. مزيداً
من الذين يقولون: سيتعب ذات يوم من لعق حذائها. مسافر من دمشق
جاء ليقول لي أن دمشق تتحدث عنك، حسناً، وعني. قال إن الأوراق
الخاصة^(٢) تظهر أنك معذب ومهزوم وتصطدم بالزجاج كأنك ربح
صغيرة. ثم نظر إلي وأنا صامت وأبلغني: حرام.

اكتبني لي.. لماذا لا تكتبين؟ لماذا؟ لماذا أيتها الشقية الحلوة؟
أتخافين مني أم من نفسك أم من صدق حروفك؟ أكتبني..

غسان

(١) يقصد كمال طعمة، وهو صديق حميم لنا أيضاً وكان يحلو لغسان أن يلقيه مداعباً بأرتين
الاسمر.

(٢) أوراق خاصة عنوان زاوية في المحرر.

عزيرتي غادة ..

وصلتني رسالتك ، فيها تفاصيل من الاوراق الخاصة . بركة صغيرة ،
شظية واحدة ووجهة من ايات الحروف أعدت الى عالمي المعنى والتوهج وجليدي لونه
من وارسيف ذكاوله الذي افنته عقدا ما افتقد كعقل وكفيل ..

ابتد السقية الطلوة الرابعة ! ماذا تفعلين بعدا عني ؟ اقول لك
ها ما قلته اليوم لان مع صفحات الربيع : " سترك شعري مبتلا حتى اجفنه
يا فتيتي ! " اني اذوب بالانتظار كقندين الملح . تعالي !

اص صوك هذه الايام - اعترف - بشهوة لا يتحمل لها . اني اتقد
قل كف مخلوق من الكبريت وامام عيني تتقاط النساء كأن اعناقهن
تبتت مجابيلك . لأن جعلت منهن رزعة من القط ~~حسنة~~ حمزوة بيدولتن
الغاضبة الطفلة -- لا . نيس عمة الاليت . الابدي وابوك وابهم طبعيا " .. وساطل
اضبط ظفواني وانك حتى لو كنت هواء .. استعفين امير السقية الرابعة ؟ حتى
لواكتر هواء ! وكنتي اريدك اكثر من الهواء . اريدك ارضا وعملا ولديا ... اريدك
اكثر من ذلك . وانت ؟

ليس لديا اخبار كثيرة هنا . آتي عادت فبأية . اري عاطفك وكال غابا
وامس سيرت مع ارتين ومع فواجبه و"بوزانه" .. عاطفك هاد اس ورض الي
المكتب غابا وشاير مع كمال لونه لم يره منذ فترة ثم سألني : اين كنت يوسف
السبت ؟ نارة ارسية شغها وفنتته عليل ، والماكب والديك طول الليل والربح .
يا عاطفك الازرق كنتك مع الليت وفي كاتبة ! لا . نعم . وانتي الامر هنا . غدا عبا
سأستراي بياضك طفلة مؤتمه للصفين قرب وسأعود لاكتبيته الازرق .. على
سأبديك هنا ؟ .. يكون عنائك سائله : (جاسطه ووله آتني ، باعفة بدون لويبة ،
شم فنت ظم) . الكتيك - فقد يكونه بطر غريبا "الملك" ، اعلا الى وولته لارشي
اماعه وانتي التواقين له !

بك . نحبك : اهلهم وارج خبرا مع الصحف يوم اربعة ١٤٦٤ : " سيتم
في يومنا في ، نودون لاسجوع القادم ، زفات ازعين غناه ككت في كل لويبة اسبوعه
غادة بساه .. " الشرويه في الصحف عرفوا فرورا الطير . في آخر طفلة اسفك
رديك من سويك ما يريد ان يبارك في ويايتي مع عدم اخباره .. تم اغذيرك ان بطبعة
فشال ان طرين الطالين مع الطابحة .. صرت القاصفة والما غير ككرت .. لم
تكن غبطة الذي دس الخبر وكله غلظة السواك طسه التي صرت لاشي . فزيرا
مع الذي بقولاه : ليتجه ذات يوم مع لوجه غداك . سار من رشع هاد لعقول
في انه رشع ككرت عنده صغنا ، وعني . قال انه الوراقه الخاصة تظهر ان مغذب
ومحزوم وشطرم بلا علاج كان ربح بغيره . تم نظرك وانما عانيت والبخني : هرام !
الكتيك .. لانا اركبتيه ؟ لانا ؟ لانا اركبتيه الطلوة ؟ اتافين
كتيك ام مع الكتيك ام مع يدور فوفرا ؟ الكتيك ..

هذه العبارة سطرها على مظروف الرسالة
من الخارج! (تاريخها ١٩٦٧/٢/١)^(١)

أدهشني حين وصلت إلى القاهرة أنني لم أجد
رجلاً ينتظرني هناك ويقول هذه رسالة لك يا سيدي
من لندن..
يذهلني أنني حين أرفع سماعة الهاتف في هذه الغرفة
العالية لا أسمع على الطرف صوتك..
أقول لك: يخيفني أن أرفع رأسي الآن، عن هذه الرسالة،
فلا أجدك جالسة في المقعد المقابل..

(١) وحمل لي الرسالة يومئذ من القاهرة المرحوم سليم اللوزي (وكان غسان يكتب في الحوادث أحياناً باسم مستعار هو ربيع مطر). وقد اختار اللوزي اسم ربيع لأنه اسم ابنه الوحيد الذي مات صغيراً. وبعد غسان كتب آخرون بالاسم المستعار نفسه، ولا أظن أن كتاباته هذه تم جمعها وأحب أن الفت إليها أنظار طلاب الجامعات عسى أن يهتم أحد بجمعها في أطروحة جامعية كما أحب أن أذكر بكتابات غسان في جريدة المحرر البيروتية في زاوية أوراق خاصة في فترة عمله هناك إلى جانب كتابات كنفاني آخر الستينات في ملحق جريدة الأنوار الذي كان يرأس تحريره وهي كتابات بعضها باسمه وبعضها الآخر باسم مستعار هو فارس فارس.

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
والحمد لله رب العالمين

CLEOPATRA
PALACE HOTEL

IN THE HEART OF MODERN CAIRO
TAHREER SQUARE
TEL. 70420 (10 LINES)
TEL. ADDRESS «CLEOTEL»

فندق
كليوباترا

في قلب القاهرة.. ميدان التحرير
تليفون: ٧٠٤٢٠ (١٠ خطوط)
تلفرافيا: «كليوتيل» القاهرة

ليل ١٩٦٧/٢/١

عزيزتي غادة..

ما الذي حدث؟ تكتبين لكل الناس إلا لي؟ اليوم في الطائرة قال لي
سليم اللوزي أنك كتبت له أو لأمية^(١) لم أعد أذكر، وأمس قال لي كمال^(٢)
تلقي رسالة منك... وآخرين! فما الذي حدث؟ لا تريدين الكتابة لي؟
لش! ولكن انتبهي جيداً لما تفعلين: ذلك سيزيدني تعلقاً بك!

اليوم صباحاً وصلت إلى القاهرة، وفي الظهر مرضت، ربما لأنني
لم أتم أمس إطلاقاً، وربما لأن الطقس تغير فجأة: من البرد الخبيث
المتسلل من الجبل إلى بيروت، (إلى قميصي بالذات!) إلى الشمس الصريحة
في الدفء الشتوي الرائع هنا.. وهكذا تخلصت من مسؤولياتي في
المؤتمر^(٣)، وتشاجرت مع شقيقي وقمت بجولة في المقاهي حيث قابلت
الأصدقاء وعدت، لأكتب لك!

-
- (١) أمية اللوزي زوجة سليم وهما صديقان حميمان لنا.
(٢) كمال طعمة، صديق مشترك كان يُشاركنا السهر وعاطف السمرا وسواهما من الأصدقاء.
(٣) المؤتمر السياسي لاتحاد الصحفيين العرب وكان غسان منتدباً من إحدى المنظمات لتمثيل
فلسطين.

يكبر غيابك في صدري بصورة تستعصي على العلاج، يدهشني أنني لم أجد في المطار شخصاً يقول لي: رسالة لك يا سيدي من لندن. يخفق قلبي كلما دق جرس الهاتف في هذه الغرفة العالية ثم لا أسمع صوتك ينادي، كالوشوشة: «غهسان!» أقول لك أيتها الشقية: أخاف أن ألتفت هذه اللحظة إلى الكرسي المقابل فلا أراك هناك! ماذا تراك تفعلين الآن؟ أعوّضت غسانك التعتيس؟ هل وفقت في استبدال سذاجته وحدّته وضيق أفقه وسخافاتهِ (واستقامته الطفلة) بشيء أكثر جدوى؟ أتعتقدين أنك نجحت في طمري تحت أوراق «سقوطهم إلى القمة»^(١) هل نجحت قطع الضباب بلندن في تكوين نعش لذكرياتنا؟ هل جف مرج الشوك الحلو؟ هل ستعودين؟

لو كنت هنا. لو كنت معي في هذه الغرفة البعيدة العالية لكان العالم. دونك لا يستطيع الجدار أن يخبئ شيئاً. أتراك تشعبرين كم يموت عمرنا أمام أعيننا؟ أتراك تحسين وأنت في منفك الاختياري كم يقتلني خوفك وكم يحز تردّدك في أوردتي؟ ثم لا تكتبين! إذا كنت تعتقدين إنك حرامٌ على يديّ فهل حروفك حرامٌ على عينيّ؟ ومع ذلك فسأترك بيادر القش تلتهب في صدري وجسدي حتى يأتي ذات يوم تطفؤها فيه راحتك. أنت. أيتها المرأة قبل ألف مرة من أن تكوني أديبة وكاتبة. أنت، الأديبة والكاتبة والذكية التي تجعل منك ألف امرأة!

إنني مريض حقاً. لا أريد أن أشعرك بأي قلق علي (إن كان ذلك ممكناً)، ولكن الغرفة تدور الآن، وكالعادة أحتاج كما أعتقد إلى نوم كثير... بطاقتك التي وصلتني إلى بيروت (شو هالبرد)^(٢) كانت رائعة، هل قلت لك ذلك في الرسالة الماضية؟ أريد أن أجد لدى عودتي صندوقاً من الرسائل في حجم شحنة ويسكي. أوصيتُ زميلاً أن يحمل لك ٢٠ علبة

(١) اسم رواية كنت أعمل عليها.

(٢) كتبت من لندن إلى غسان بطاقة فيها عبارة واحدة: شو هالبرد!...

(سالم)^(١)، سمعت عاطف يقول إنه تلقى منك طلباً بهذا الموضوع، أرجو أن يكونوا قد وصلوا، إذا وصلوا لا تنفخي مع دخانهم اعتزازي بك، وبكل شيء لك ومنك وعنك.

غسان

اليوم الأربعاء.. أعتقد أنني سأعود السبت إلى بيروت، أريد أن أقرأ منك!.

(١) نوع من السجائر.

القاهرة ١٩٦٧/٢/٤

سريزني الشقية، الضائعة، المسافرة التي لا تتذكرا!

عنداً ظهراً ساكون من جديد في الفراغ الجديد في بيروت، لقد حدثت
مهمرة هامة هنا منذ وصلت، فقد أبلغتني المنظمة التي انتدبتني لتمثيل
القطر في المؤتمر السياسي لاتحاد الصحفيين العرب أنها قررت فجأة،
ولأسباب تافهة كما يبدو لم يقدر لي أن أعرفها، أن تقاطع المؤتمر، وهكذا
وبدائي فجأة بلا عمل، وجعلني هذا الوضع أكثر استعداداً لأن أسقط
في الخرج الذي كنت أترقبه بجزع، وأمس حدث ما كنت أتوقعه: فقد
أمضيت معظم نهاري في الفراش. كنت في الليلة التي سبقت قد حولت
مشمري إلى زجاجة معبأة بالدخان المضغوط، دخنت ٦ علب وأمضيت
النهار التالي أسعل وأدخن وأسعل وأدخن من جديد، وأمس ليلاً كان
جسدي قد تعب من هذه اللعبة واستسلم أمام عنادي وهكذا قمت
بمشهري عند بهاء^(١)، ثم اقتادني الأصدقاء، بعد ذلك، إلى الليل ونمت في
الصباح... وغداً الأحد سأعود، إذا لم يطراً أي جديد.

عبر ذلك كله جئت أنت، وكنت معي رغم أنك ورغم جميع الذين
كانوا معك والذين كانوا معي، وفكرت بك بهدوء، كما يجلس الإنسان
العاقِل ليلعب الشطرنج معتزماً أن يربح الجولة بأي ثمن، وقلت لنفسي: يا
ولله، أنت أصغر من أن تكون دونها وأعجز من أن تغلق الباب. كان
الملك، على رقعة الشطرنج، معذباً وبعيداً عن جواده وقلعته ورغم ذلك

(١) أحمد بهاء الدين.

فقد كان يقاتل بكل دمائه النبيلة، ناجحاً في أن يتجنب التلطيخ بوحل الميدان الشاسع وحماً الهزائم. كان يعرف أن التراجع موت وأن الفرار قدر الكذابين. إنه فارس اسبارطي حياته ملتصقة على ذؤابة رمحه يعتقد أن الحياة أتفه من أن تعطيه وأنه أكبر من أن يستجدي ولكنه يريد أن يأخذ وأن يعطي بشرف مقاتل الصف الأول. ليس لديه ما يفقده ورغم ذلك فهو يعرف أنه إذا فقد هذا الشيء الوحيد الذي يعتز به فإنه سيفقد نفسه. إنه المقاتل والخصم والميدان والسلاح في وقت واحد معاً، فكيف يربح وكيف يخسر؟ كيف يكون التقدم وكيف يكون التراجع: هذه هي أيتها الشقية لعبة شطرنج لا تنتهي، يظل اللاعب حاضناً رأسه الثقيلة بين كوعيه يتبادل النظر مع الملك الصامت على الرقعة المزدحمة بخبب السناكب المهزومة، دون أن تستطيع الجياد مغادرة الرقعة المقطعة بأقدار الرجال والخيول والملوك الذين يذلهم أنهم لم يولدوا على سهوات خيلهم كما تولد التوائم السيامية.

إنني أريدك بمقدار ما لا أستطيع أخذك، وأستطيع أن أخذك بمقدار ما ترفضين ذلك، وأنت ترفضين ذلك بمقدار ما تريدين الاحتفاظ بنا معاً، وأنت وأنا نريد أن نظل معاً بمقدار ما يضعنا ذلك في اختصاص دموي مع العالم.. إنها معادلة رهيبية، ورغم ذلك فأنا أعرف بأنني لست أنا الجبان، ولكنني أعرف بأن شجاعتني هي هزيمتي، فأنت تحبين، في، أنني استطعت إلى الآن أن لا أخسر عالمي، وحين أخسره سأخسرك، ومع ذلك فأنا أعرف أنني إذا خسرتك خسرت.

أستطيع أن أكتشف ذلك كله كما يستطيع الجريح في الميدان المتروك أن ينقب في جروحه عن حطام الرصاص، ومع ذلك فهو يخاف أن ينتزع الشظايا كي لا ينبثق النزيف. إنه يعرف أن الشظية تستطيع أن تكون في فوهة العرق المقطوع مثلما تكون سداة الزجاجة ويعرف أن تركها هناك، وحيداً في الميدان، يوازي انتزاعها. فالنهاية قادمة، لا محالة... ولو كان شاعراً فارساً يمتطي سهوة الصحراء الجاهلية لاختر

أن يموت رويداً رويداً: يده على كأسه الأخيرة وعينه على النزيف الشريف.

ليقف الفارس في ذلك الخلاء الأجرد ويصيح في وجه الريح: إنني أحبك! فذلك هو قدره الذي تتوازي فيه الخسارة بالربح. إنك الخصب. أيتها الجميلة الشقية.. وليس ثمة إلا أن أنتظر في غيابك وفي حضورك. في الشمس وفي المطر، تحت تطاير الكلمات من شفاهنا وبين التصاقهما. وثمة حقول من طحلب غير مرئي اسمه الانتظار تنمو على راحتي يدينا حين تمطر فوقهما المصافحة، هناك جسر من الانتظار تشده أهدابنا إلى بعضها حين تتبادل النظر. إن الانتظار، فيما بيننا، حفرة تكبر كلما عمقت أظافرنا اكتشافها، اننا لا نستطيع أن نردمها بأي شيء فليس في علاقتنا ما نستطيع أن نستغني عنه لنخطو إلى بعضنا فوقه.

اكتبي أيتها الحلوة الذكية. تمسكي بهذا الشيء الذي يستطيع أن يكون إلى الأبد درعك أكثر مما يستطيع أي رداء مبتكر (وقصير) أن يفعل. بوسعك أن تقتحمي العالم على منقار صقر فما الذي يعجبك في حصان طروادة؟ إنني واثق من شيء واحد: بالنسبة لك الحياة ملحمة انتصار تبدأ من العنق فما فوق، فلتجعلي همك هناك. لغيرك أن يعتقد أن حياته لها قمة هي الكتفان. بوسعك أن تدخل إلى التاريخ ورأسك إلى الأمام، كالرمح. أنت جديرة بذلك وليس من هو أكثر منك جدارة. أطرحي مرة وإلى الأبد حيرتك الأنثوية المغيظة بين رأسك وركبتك فتكسبي مرة وإلى الأبد رأسك ورؤوس الآخرين وعظمة أنوثتك وجمالها الأخاذ الصاعق المفعم بالكبرياء. إنني أحبك كما لم أفعل في حياتي، أجرؤ على القول كما لم يفعل أي إنسان وسأظل. أشعر أن تسعة شهور معك ستظل تمطر فوق حياتي إلى الأبد. أريدك. أنتظرك وسأظل أريدك وأنتظر، وإذا بذلك شيء ما في لندن، ونسيت ذات يوم اسمي ولون عيني فسيكون ذلك مواز لفقدان وطن. وكما صار في المرة الأولى سيصير في المرة الثانية: سأظل أناضل لاسترجاعه لأنه حقي وماضي ومستقبلي الوحيد. لأن لي فيه

شجرة وغيمة وظل وشمس تتوقد وغيوم تمطر الخصب وجذور تستعصي
على القلع.

أكتبني لي. هذه اللحظة وقولي: سأظل معك وسنظل معاً.

غسان

القاهرة ١٩٥٠/٤

عزيزتي لثيمه، لثيمه، يا زهره التي لا تنسى!

عندما ظهر لك من جديد في الواقع في يوم بروت ، لقد حدثت أمور هامه لكها معذ وحدت ،
فقد ابعثتني المظلمة التي انتبختني لتمثل نفسي في المؤتمر من سراتك ولتخبرني بوجوب انك قررت فداء ،
ولاسباب تأنيك كايديوم بقدر طيره اوعلى ، انه تقاطع امواتر ، وهكذا وصرتي في فناء بلدي ، وجيتي
هذا الموضوع اكثر استنادا ، لانه استغلني الموضع الذي كنت ارتقبه بجزء ، وامن حدث ما كنت
اتوقه ، فقد ابعثتني معلمي الكريه في نقاش ، كنت في ليلة التي سبقت قد حدثت صدوتي ان زواجه
محاذاً لإدغامه المنطوق ، وظننته في حبه واسفله انك اناج اسهل واردهه واسهل وارنصره
عديده ، واسئلي كانه صبي قد تحببه منه هذه اللحظة واستمع امام سنادي ، ولكنما صمت فمذرت
عند سماعي ، ثم اقتادني الإصمات ، بعد ذلك ان املين رحمت مع إصلاح ... وعلماً لمجد ساعد ، اذا مع
يطرا اي صديق .

عمر ذاك في حبك حبه انت ، وكنت معي رغم الغل ورغم جميع لذيه كالماء معن وانذبه كالماء معي ،
وقدت لك بصوره ، كما يجسه من انه المناقل بلحبه الطرحي مقترنا ان يراج الحولة في قصه ،
وقتها لمشي ، يا ولده انت اصغر منه كونه دونه والخمزمه انه تغلبه البواب . كما انه " مع ومع
الطرحي ، صديقا ، وبعيدا عنه عباده وتعلقته ورضاه فيك كانه يقاين بل رحامه النبيه ، انا
ان انه يترقب ان يطلع بوجهه ان يبعث لاسر رحمتها الهلالم . كانه يعرف انه التراجع موت وله الفزاد قد
الكثفين . انه ما يسهل السبارطي حياه ملائحه على زوايه رحمته بلطفه ان طيهه انفسه مع ان تعظيه
وانه اكرم منه ان ابعثت بيدي ولكنه يريد ان يافذه ، انه يعلني شرفي بقا في الصف الاول لثيمه لذي
ما يقده ورأيت ذك راويف انه اذا فقد غدا شيئا يويد الذي يترقب فانه سيفقد نفسه ، انه
لثيمه والظلم والميله والسلاح ، وقتها والله معاً ، لكن يراج ويثني ضمير ؟ كيف كونه للتقدم وكيف
كونه التراج ، انفسه في اي كنهية نبتة شطرنج ، لا تنسى ، بل الاغصه ما ضنا " باسم لثيمه
ان اكونه في كونه سجاد ، بظفر مع بيله الصباة في الرثعه والذمعه حبه تجنبه السبابه
الذمعه يذلهم الشمامه اولدوا مع عجبك ضحك كما تود التواضع السياسي .

انني اريدك بمقدار ما لا استطيع اخذك ، واستطيع ان افعله بمقدار ما ترخصيه
ذمعه ، وانت ترخصيه ذمعه بمقدار ما تردين مرهتاً طرباً بها ، وانت وان اتردد ان نكل معاً
بمقدار ما يظنك في اهتمام ووعي مع انام .. انك معادله رهصيه ، ورغم ذلك ما انا حرف
بالتي رثت ان اربان ، ولكن ان اربان به شبا في سبي لثيمه ، فانك تجيب ، في حبه
حبه انك انت ابعثت ان ترده ان لا اسر اني ، وصبره افسره كاسنرله ، ومع ذلك
انما احب اني ان اسنرله نسبه
عبدالملك
1950/10/10

فندق

كليوباترا



IN THE HEART OF MODERN CAIRO
TAHSEER SQUARE
TEL: 70480 (10 LINES)
TEL ADDRESS: "HOTEL"

في قلب القاهرة .. ميدان التحرير
شماره ٧٠٤٨٠ (١٠ خطوط)
مركزاً قديماً : كليوباترا ، القاهرة

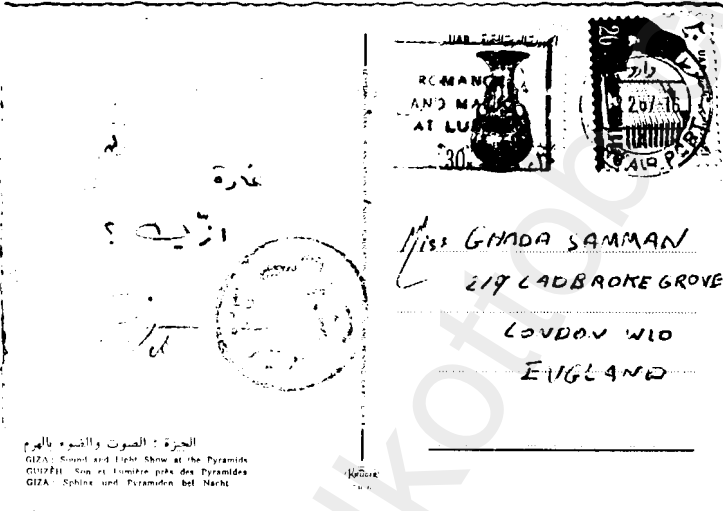
استطيع ان اختلفه ذاك لعله كما يستطيع الجريح ان يلدنه المتروكه انه يتعب في جروحه عنه
 صدام الرصاص ، ومع ذلك فهو يخاف ان يتزعج الشكايك لان يشهد الزحف . انه يوف انه
 الشقيه تستطيع ان تلمه في موهبة العرفه المقطوع بها تكون سداة الزهامة ويوف انه
 تركها هناك ، وصلا في السمان ، يوازي التراعنه . فالخياره قاده ، للكتابة ... ولو كانه ساعرا
 فاسا يعطي صوره العجله الماهله للاقفا - انه يموت رويدا رويدا : يده لم كانه الإفئرة
 وعينه عم الزئيف الشريف .

ليفتق العارسي في ذم خلداه الإجمود ويصح في وجه ليرج : اني اجعله انذله هو قدره
 الذي تتوازي فيه الشده بالرج . انه المصعب ، ايتج حبيبه الشقيه .. وليسحة الا
 انقلبه في عياله في حضوره . في يسس وفي المظرة تحت ظلم الكلاب منه لئانهنا
 ريسه الصاقطما . وثمة صقون منه طجبت غير مرئي اسمه يرتظار تنوي في راعتي بريئا
 حينما تحفر فودقا المصانعة ، هناك جسره يرتظار شده اهذابنا ان يضع حبيسه
 تتدوله العظلم . انه الانتظار ، فيما بيننا ، هفوة كبر كلما حبيبت الظلمة انشافة ، اننا
 لنستطيع ان نردده اي شيء فليس في علاقتنا ما نستطيع ان نستغني عنه لنخلو
 ان ايضا فوهه .

التي ايتج حلوة لذكية . تسكي سيدا ليني الذي يستطيع ان يكون ان الريد ربحي
 اكثر ما يستطيع اي رداو سبكو (وتحسب) ان يفعل . بوسعك ان تتجني الخاتم عن حصيلته
 عن صنفار صقر فما الذي يجبل في عشاء طرودة ؟ اني والمه منه شيئا واصد بالنسبة ان الحياة
 ملحة انتمار تداسه لبعده فما فوهه ، فلحقني صوم هناك . لغيره ان يتحق ان حياته لك تحم
 هي الكفان . بوسعك ان تخطي الى التاريخ وراسل ان الامام ، كالرجم . انت هدية بذل
 وليس من غير انك هبة . اطرحي مرة والريد هيرته لانوح المنظفة بين راسك
 ورايتك فكي مرة والريد راسك ورووس لاقرنيه وعظمة الخوتن وحبها الاغان
 الصاعه المفعم بالبرايو . اني اجهل كما ان اعلى في حياتك ، انروي لي تقول كما ان يفعل اي اسان
 والسائل . انشراة تقع سنور معن تتلج تظهر فوهه حياث الريد . اريدك .
 انتظرك وسا ظل اريدك وانتظرك ، ورا بذل شيئا في لئنه ، ونسك ذات يوم ، اسمي ولود
 عيني لسكونه زمن ~~حبه~~ مؤن لفقده وطن . وكما صارت في ليرة امود سيمير في امره
 انانية : سائل ان اضل لاسترجاعه لانه عني وما طيحه وستتجني اللويد . لانه في فيه شجرة
 ونجمة وثل وسنور تتقدم وتقوم مستصعقة تتنزل المصعب وهذور تستعني عن الكفح .

التي في . لعد الخطة رقوق : سأكل علق وسنظف معا .

بدون تاريخ



غادة

ازتيك

غسان

Miss Ghada Samman

219 Ladbroke Grove

London W10

England

يا غادة!

تلقيت رسائلك جميعاً، ولم يؤخرني عن الجواب إلا ذلك الغرق المخيف في أشغال لا نهاية لها توجهها مؤتمر الكتاب الأفروآسيوي الذي عقد هنا خلال الأسبوع الماضي وشغلني من الفجر إلى النجر.. كان اسمك في قائمة الكتاب الذين يمثلون سوريا وكنت أقرؤه كل يوم، وأقول مثلما قلت في إحدى رسائلك: إن ما يدور مفرح حقاً!

وعبر هذا الازدحام الذي لا مثيل له أنهمك كالمصاب بالصرع في كتابة المسرحية التي تحدثنا عنها في السيارة ذات يوم، ذات ليلة.. إنني أستشعر وأنا أكتبها طعم صوتك وبريق عينيك الإلهيتين في تلك الليلة النادرة التي كناها معاً (أواه كم كان ذلك نادراً ومفاجئاً وقصيراً!) وأحس فكيف على جبيني المحروق تستحطني مثلما يستحث المهماز خاصة الأصيلة. أسميتها «حكاية الشيء الذي جاء من الفضاء وقابل رجلاً مفلساً» وأمس اقتрحت لنفسني عنواناً آخر: «النبّي والقبعة» على أساس أن القبعة تستر رأس الرجل من الخارج والنبّي يستتره من الداخل.. وما زلت في حيرة، ولكن المسرحية تمشي على ما يرام. إنني أكتبها لك!

لنعد إلى رسائلك الرائعة ورسائلي «المفجعة».. أجل، أيتها الشقيّة، أنا غاضب ومهرق ومطعون.. كنت تلك الليلة مريعة. آخر ليلة. كنت مثلاً أردتكَ دائماً معي وحدي ولكنك لم تكوني معي، وكان هو^(١) وكنت سعيدة

(١) أحد أصدقائي، وصل من دمشق فجأة، فسهرت معه عشية سفري ومع غسان الذي تصايق من حضوره.

إلى حد زلزلني صوتك الضاحك وفتح في رثتي جرحاً ما زلت أحس نزيغه
بيلل قميصي: لقد عملتُ في المكتب مثل كلب لاهث، ألغيت، لأول مرة في
حياتي، دعوة كنت وجهتها لصديق مسافر في اليوم التالي وركضت إليك:
لا! إن ذلك لا يحتمل.

وأمس فقط وصلتني رسالتك التي يقول أولها غسان ويأتي توقيعك
في آخرها وبين هذين القلبين السياميين فراغ ثقيل يملؤه البياض: أبغض
الألوان إليّ. وفكرت أن أملاً ذلك الفراغ. أن أكتب عنك لنفسي شيئاً. أن
أجيب على هذا السؤال الذي طرحته ورقتك البيضاء في وجهي: ما الذي
أريد أن تقوله لي؟ قلت: سأكتب: «أنا لك» ولكن ذلك - حتى ذلك - لم
يكن يكفي. قلت سأكتب: «أحبك وأريد أن..» أريد ماذا؟ وعدتُ فقرأت
رسائلك جميعاً وأنا أرتجف.. أه يا عادة.. أيتها الشقية التي لم ترتطم إلا
بالشقي!.

دونك أنا في عبث. أعترف لك مثملاً يعترف المحكوم أخيراً بجريمة
لم يرتكبها وهو في طوق المشنقة، كي يبرر لنفسه نهاية لا يريدها.

أنا أعرف أنك لن تعودني إلى هنا. كنت أعرف ذلك منذ البدء، تماماً
حين كنت، بذكائك الذي يخونك حين تكذابين، تقولين لي كم سيكون
مستقبل علاقتنا مستقراً... وكنت أبكي بتلك الدموع المروعة (التي لا
تُرى) مرتين: مرة لأنك ستمضين ومرة لأنك تشكّين برأسي!

وكيف حالك الآن؟ كم صار سُمك الغبار الذي راكمته لندن فوق
وجهي؟ أما أنتِ فقد دخلت إلى عروقي وانتهى الأمر، إنه لمن الصعب أن
أشفي منك.

لقد كانت رسالتك رائعة وحادة. حملني عذابك ولوُملك ثقل
المسؤولية والشعور بالذنب ولكن ذلك لم يكن له علاقة بالافتناع: إنني
أريدك وأحبك وأشتهيك وأحترمك وأقدس حرفك.. ونست أقبل تلوين ذلك
بأي طلاء أو وضعه في صيغ التحفظ. لا. لست عاجزاً عن إعطاء أكثر مما
أعطيت ولكنك دائماً - أنتِ - التي كنت عاجزة عن الأخذ. كنت تحسبين

نبضي ونبضك على جدول اللغرايتمات، كنت تختارين مني أسوأ ما فيّ وتمزجينه مع ما اخترتِ من أسوأ تجاربك، وكانت الحصيلة قزماً توقعتِ منه أن يدخل فرحاً إلى غرفة أنت فيها بملابس النوم مع رجل آخر، عشية غيابك،! لقد قتلت فيّ الرجل لتعديدي وهماً ليس أنا.. ووجدتِ في اندفاعي فرصتك لترّي كيف تستطيعين تعديبي!

وكان عليك أن تتوقعي ما حدث: لم أصدق قط أنك ضد أخذ العلاقة إلى مداها. أنت امرأة حقيقية حتى كعب حذائك وقد عرفتُ ذلك. إذن ما الذي كان يرغمك على بناء جدار الجليد؟ رجل آخر؟ مزيداً من الذل؟ أمور أكثر تعقيداً؟ لماذا لم تعتقدي لحظة أنني قد أخذ من هذه الاتهامات متراساً أصد به الرماح التي كانت تنال من رجولتي ورغم ذلك: أنظري ما الذي ضيّعناه! انظري! عام كامل من المشي على الزجاج المطحون لماذا؟ من المسؤول؟ كيف تريدين أن أتصرف؟ هاك دواء يصلح للتحنيط، ضعيه في عروقي واجعلي مني شطرين أسند رف كتب تافه في غرفة لك، لا أعرف من فيها!

تريدين أن تقولي أن روعة علاقتنا كانت في أنها لم تكن؟ إنني لا أصدق. ولست أريد أن أصدق. إنني لا أقيس جسدي بصيغ التهرب والخذلان، وأقول لك: اليوم وغداً وإلى الأبد أنك أهنّت فيّ ما أعتز به أكثر مما كتبتُ وأكتبُ وسأكتب.

يبدو أننا سنتشاجر مرة أخرى.. ولكن أرجوك يا غادة. اجلسي لنفسك قليلاً واستعيدي ما فعلته بي عاماً كاملاً، كان الصمت أكثر من الكلام. كان البعد أكثر من القرب. كان الوهم أكثر من الحقيقة. كان الرفض أكثر من القبول. كان التحايل أفضح من المواجهة... لقد حرصت مثلاً في الأيام الأخيرة على المطالبة بأسطواناتك بانتظام وبإصرار، ولكنك أبداً لم تفكري بكم أحتاج لآلة التصوير ولأسطواناتي.. وسافرت دون أن تكثرثي!

إنها تلخص شيئاً أكبر من مجرد هذه الأشياء: لو فكرت قليلاً. لو

عدلت. لو أعدتِ بينك وبين نفسك تقييم ما كنته لي وما كنته لك... لو
عرفت أنني في عام كامل كنتُ دائماً عندك ولك!

يا حبيبتي الشقية.. ما الذي يبقى؟ ما قيمتي الآن دونك وما نفع
هذا الضياع ونفع هذه الغربة؟ لم يكن أماننا منذ البدء إلا أن نستسلم:
للعلاقة أو للبتر، ولكننا اخترنا العلاقة بإصرار إنسانين يعرفان ما
يريدانه.. لقد استسلمنا للعلاقة بصورتها الفاجعة والحلوة ومصيرها
المعتم والمضيء وتبادلنا خطأ الجبن: أما أنا فقد كنت جباناً في سبيل
غيري، لم أكن أريد أن أطوح بالفضاء بطفلين وامرأة لم يسيئوا إليّ قط
مثلما طوح بي العالم القاسي قبل عشرين عاماً، أما أنت فقد كان ما يهمك
هو نفسك فقط.. كنت خائفة على مصيرك وكنتُ خائفاً على مصير غيري،
وقد أدى الارتطام إلى فجيحة لا هي علاقة ولا هي بتر.. أتعتقدين أننا كنا
أكثر عذاباً لو استسلمنا للقطيعة أو لو استسلمنا للعلاقة؟ لا!

أم أنا فأريد العلاقة. ذلك «الاستسلام الشجاع»^(١) لحقيقة
الأشياء... تحدثتِ أنت عن «أكثر الميئات كرامة».. هل تقولين أيها؟ في
العلاقة أم البتر؟ قولي شيئاً بحق الشياطين!

سأظل أكتب لك. سأظل. وسأظل أحبك. وسنظلين بعيدة.. وستظل
قدمي تنتفض باتجاه مكبح السيارة كلما مررت في رأس النبع^(٢) وشهدت
سيارتك واقفة هناك على الرصيف.. أنت تسكنين في. أنت. وليس
«كلماتك» كما كتبتِ لي. أنت!

.. لك

غسان كنفاني

(١) تعبير من رسالة كتبها لي ونشرها في ملحق الأنوار على النحو الذي نراه في ص ٩٤ من
هذا الكتاب. وهي ككل نصوص غسان كنفاني الوجدانية الشعرية ما تزال تنتظر جمعها
في كتاب يضاف إلى أعماله الكاملة.

(٢) حيث بيت الصديق عاطف السمرا سكرتير تحرير مجلة الأسبوع العربي ، يومئذ،
والذي استودعته سيارتي حين سافرت.

هام: كان أحمد بهاء الدين عندي اليوم وطلب مني «جاداً ورسمياً» أن أكتب لك رجاءه ورجاء مؤسسته (دار الهلال) بأن تكتبي «للمصوّر» من لندن رسائل أدبية وفنية وإذا شئت سياسية بأسلوبك. إن المصوّر مجلة جادة وذات توزيع مرتفع وتدفع أسعاراً جيدة.. إذا رغبتِ بذلك ابعتي له رسالة إلى دار الهلال في القاهرة.. إن ذلك في رأيي فرصة جيدة ومفيدة، وسيكون الاتفاق واضحاً: يحوّلون لك الفلوس إلى لندن أو يفتحون بها حساباً لك في القاهرة - إنه يهديك تحياته أيضاً..

بإعارة !

تفتت رسائله جميعاً ، ولم يوافقني على الطوابير إلا ذلك الفرق المجهت في استعمال له
 لأية لها توجه مؤثر الكنا - مؤزوا سوي الذي عقد هنا خلال برسوج بإعاني وسفني من
 الغير إلى الغير .. كما حسن في قائمة المكاتب الذين يمتنون بسوربا وكنته اقروا كل يوم ، وأقول
 كلما فقتم ! أهدى رسائله : أنه ما يدور صبيح هذا !
 وعبر هذا الأوردهام الذي لا يمكن له انهم كاللهام الصريح في كفاة جبهة التي قدنا
 عنده في السيرة ذات يوم ، ذات ليلة .. التي استمر وأنا أكتبه طبع صوتيه وبروق عينيه إلهيتيه في
 تلك الليلة البادرة التي كانها معاً (أواه كم كان ذوقنا نادراً ومغايهاً ونصيراً) وأصدر كفنك على
 هيبتي الخرووف تكفني كلما يسهة المجرز صامرة الوجيهة .. سميتك « هكفاة لينا الذي جاء من
 الوفاء وقابل رحلي بفسا » واسم اقتصدت لنفسه عندي آخر : « النبي والفضة » ثم أسس
 أنه الفضة تستر رأسه من أي شيء والمشي بيته من العاطل .. وما زلت في صيرة ، ولكنك حسيمة
 فتسبح يا بريم .. التي أكتبها في !

لقد أتت رسالة الأربعة رسائل في « صحيفة » .. الله ، ابتعد لفتته ، أنا عاضبه ورفوه
 وبعده .. كثر تلك الليلة فريضة .. أتدري ليلة .. كثرتها معها ارتدته دائماً معي وحدي ولكن لم ينجح
 معي ، وكلاهما وكنت سعيدة إذ قد زلزلتي صوتك الصالحه وفتح في رأبي فربما ما زلت احسن
 ترفيحه يليل قبيحى : لقد كنت : المكتسبة مني كلبه لاهتة الحيتة ، ولولا لوره عباتي ، دعوة
 كنت ومينيو لستدوم سائر اليوم إلى في ركفتته اليك : لا ، أنه كان لا يمكن
 وأسدقة وضحيتي رسالتين التي يقول ادتها عشان وأبني ترفعه : أتدريها وسين
 ذكرك القوسين السياميين فراغ يفتن عيونه البياض : يدخل المرحله التي .. فطارت أنه الحظ
 البضاء : ووهي : ما الذي يريد أنه نقوله في ؟ قلت : سأكتب : « أنا لا » ، ولكنه من - حتى ذلك -
 في كلبه كيني : قلت : سأكتبه : « أهين واريد أنه .. » أريد ماذا ؟ وعدت : فمرات رسائله
 هسفاً وأنا أرقب .. آه بإعارة .. ابتعد لفتته التي لم ترتطم إلا بالسر !

دوخة أنا في عيشة .. أمة فون كلما يعرف المحكوم الضيق تجرعة ثم يرتجعه وقد
 في شوقه يستنقه ، كما يبرد لفتته لأية لا يريدوها

أنا الحرف الله لم تقودي إلى هنا .. كنته اوفه ذوق بند البعد ، تماماً حتى كنته في
 شكايك الذي يتوكل حين كذبين ، تقول في كم سكونه مسكين عيوقنا شغراً .. وكنت
 لكي تخلو الدعوى المروعة التي لا تروى مرتبته مرة لأني مستحسن ومنه لأنك تسكين برأس !
 وكنت طالع ثوبه ؟ كم صار مسكين العجرا الذي رالمته لسه فوفه وهبي ؟ أما أنت
 فقد اعطت ان عروفي وانهم المومر ، أنه من العجب أنه استغنى مني

لقد كانت رسائله رائحة وحارة .. حيلي عذابي ولولم تعلق به وليلة ولستد
 الدنيا ولينه ذوق لم كينه به عوفه بالارتجاج : التي ابدتك واصيل واستقبل واحترمت
 واقدم فرفوه .. ولست اقبل كون ذوق أي طلاء او وضعه في صبيح بظنظ .. لا ، لست
 عاجزاً عنه اعضاء أكثر ما عظيمة ولكن دائماً - استمر - التي كنت عاجزة عن المأخذ .. كنت
 تتكلم في تحسين نفسي ونظفني مع جدول اللقرانيات ، كنت تتحاورين حتى اسرنا ما
 في وترتبه مع ما افترت رمة السوا قاريل ، وكأنته الصبيحة قروفا توفقت صلت
 أنه بدل فرفوا إلى عرفة استه ذرة بلسه التزم مع ريل آخر ، عسفاً : أ
 لقد كتبت في « المرسل لقمودي ونجا ليس أنا .. وودعدي : اندفاعي فرفعتك
 لتري كنت تفتن تقديري

ولان عيبي أنه تنوق في ما حدث : لم اصرفه وظ التي ضد هذا العداوة

غادة..

لست أعرف ماذا يتعين عليّ أن أكتب لك.. لقد أرسلت لك رسالة مطولة منذ أسبوع، ومع ذلك فرسائلك تقول أنك لم تتسلمي شيئاً، وأنا أشعر بالذنب، وأخشى أن تعتقدي للحظة أنني ألعب دوراً، أو أن نبضي لك قد أخذ يخفق في فراغ، أو أنه صمت، أو أنه اتجه نحو مرفأٍ آخر: دونك أيتها الغالية لا شيء ولا أحد.. وغيابك - ليكن من يكن الذي سيختاره - لن يعوض.. بعدك مستحيل. دونك لا شيء ولكن غيرك غير ممكن.

أنت في جلدي، وأحسك مثلما أحس فلسطين: ضياعها كارثة بلا أي بديل، وحببي شيء في صلب لحمي ودمي، وغيابها دموع تستحيل معها لعبة الاحتيال.

لقد وقع الأمر، ولا فرار.. العذاب معك له طعم غير طعم العذاب دونك، ولكنه، دائماً، عذاب جارح، سهوة تستعصي على الترويض.

إنني أكره ما يذكرني بك، لأنه ينكأ جراحاً أعرف أن شيئاً لن يرتقها. أنا لا أستطيع أن أجلس فارتق جراحي مثلما يرتق الناس قمصانهم... ويا لكثرة الأشياء التي تذكرني بك: الشعر الأسود حين يلوّح وراء أي منعطف يمزّع جلدي، النظارات السود ما تزال تجرحني.... السيارات، الشوارع، الناس، الأصدقاء الذين تركت على عيونهم بصماتك، المقاعد، الأكل، الكتب، الرسائل، المكتب، البيت، الهاتف، كل ذلك، كله.. هو أنت، وقبله: أذكرك طالما أنا أنا.. وحين أنظر

إلى كَفِّي أحسك تسيلين في أعصابي.. وحين تمطر أنذكرك، وحين ترعد
أسأل: من معها؟ وحين أرى كأساً أقول: هي تشرب؟ ثم ماذا؟
لقد صرتِ عذابي، وكتب عليّ أن ألجأ مرتين إلى المنفى، هارباً أو
مرغماً على الفرار من أقرب الأشياء إلى الرجل وأكثرها تجذراً في صدره:
الوطن والحب.

وإذا كان عليّ أن أناضل من أجل أن أسترد الأرض فقولي لي، أنت
أيتها الجنية التي تحيك، كل ليلة، كوابيسي التي لا تحمل.. كيف
أستردك؟

أقول لك، دون أن أغمض عينيّ ودون أن أرتجف: إنني أنام إلى
جوارك كل ليلة، وأتحسس لحمك وأسمع لهائك وأسبح في بحر العتمة مع
جسدك وصوتك وروحك ورأسك، وأقول وأنا على عتبة نشيج: يا غادة يا
غادة يا غادة...
وأغمض عينيّ.

وحين أكتب ليس ثمة قارئ غيرك، وحين أقود سيارتي في تعب
الليل وحيداً أحدث إليك ساعات من الجنون، أشاجر، أضحك، أستم
السانقين، أسرع، ثم أقف: أحتويك وأقبلك وأنتشي.

إنني على عتبة جنون ولكنني أعرف قبل أي إنسان آخر أن وجودك
معي جنون أخر له طعم اللذة، ولكنه - لأنك أنتِ، التي لا يمكن أن
تُصلح في قالب أريده أنا - جنون تنتهي حافته إلى الموت!

أمس رن الهاتف في المنزل، ورفعت السماعة.. لم يكن ثمة أحد
يتكلم على الطرف الآخر وهمست، بعد لحظة، بصوت جبان: غادة؟

وهذا كله لا يهملك.. أنت صبيّة وفاتنة وموهوبة.. وبسهولة
تستطيعين أن تدرجي اسمي في قائمة التافهين، وتدوسي عليه وأنت
تصعدين إلى ما تريدين.. ولكنني أقبل.. إنني أقبل حتى هذه النهاية
التعيسة!

ماذا أقول لك؟ إنني أنضح مرارة.. يعصر لساني الغضب مثلما

يعصرون البرتقال على الروشة، لا أستطيع أن أنسى، ولا أستطيع أن أبعاد عن وريدي شفرة الخيبة التي بذلت جهداً، يشهد الله كم هو كبير، لتجعليني أجترعها بلا هوادة!

ماذا يهم؟ ها أنتِ تكتبين الآن وأنتِ على بعد ألفي ميل ما كنت تستطيعين أن تقوليهِ حين كنا يداً في يد... ومع ذلك فهاتي الحب! كيف؟ كيف؟

لا أعرف ماذا أريد. لا أعرف ماذا أكتب. لا أعرف إلى أين سأنتهي. والآن - خصوصاً - أنا مشوش إلى حد العمى: إن النقرس يفتك بي مثل ملايين الإبر الشيطانية. اشفقي عليّ أيتها الشقية... فذلك، على الأقل، شيء يقال.

قلت: نتحدث في الهاتف.. أما أنا فليس لدي قرش أستطيع أن أصرفه، وأن أصرفه خصوصاً على عذاب لا أحتمله. لقد تقوّض هذا الشيء الذي كنته، وأنا حطام، وأعرف أن ذلك شيء لا يسرك كثيراً، ولكنه حدث: عنوان القصة.

حازم^(١)؟ أجل حازم، من نوع أكثر صميمية: إنني أكثر شجاعة منه في وجه العدو المعذب، ولكنني أقل منه شجاعة في وجه الحب.

إنني أعطيك بطل قصة، مخلوق جدير بالتفحص في أنبوب اختبار.. وسأكون سعيداً لو عرفتِ كيف تكتبين عن رجل أحبك حقاً، ولم يخطيء معك، وظل يحترمك، ولم يكثرث بأيما شيء في سبيلك... دون أن تمنحيه بالمقابل شيئاً إلا «أذان الآخرين» والاعتراب والصمت.

لا!

لا تتحدثي معي بالهاتف.. اكتبي لي كثيراً.. أنا أحب رسائلك إلى حد التقديس، وسأحتفظ بها جميعاً وذات يوم سأعطيها لك.. إنها - أيتها الشقية - أجمل ما كتبتِ وأكثرها صدقاً..

(١) أحد أبطال قصص كتابي ليل الغرباء.

كنتُ قلتُ لك في رسالتي السابقة انهم يريدونك لتكتبي للمصور من
لندن.. حاولي أن تفعلي، واكتبي لأحمد بهاء الدين.
أرجوك: أكتبي لي.

غسان كنفاني

مادة ..

سنة اعرف ماذا يعنيه علي
 انه الله من .. فقد ارسلت لك رسالة
 مطولة منذ اسبوع . ومع ذلك فرسائلنا
 تعود انه لم تتلقي شيئا ، واننا نسير
 بالذنب ، وافشى انه يعتقدني بالخطية .
 انني العجب دورا ، اوانه ينبغي له قد
 اهدى نفسه في فراغ ، اوانه صحى ،
 اوانه اتجه نحو مرعا آخر : دونك
 ايها العالمية لاشي ولا احد .. وعيادك
 - ليكنه من كين الذي سجناره - لي
 دعوض .. بعدله سيقبل . دونك
 لاشي ولكنك غير ممكن .
 انت : جدي ، واحسنه
 مني احسن فنتيق : ضناجلا لارنت
 بلاكي بدلي ، وصبي شي ، صلب
 طمي وربي ، وعيادك رموع سيقبل
 معاً لعبة الاحتيال .

نقد وقع الامر ، ولا فزاد .. لعذاب
 بعدك له طعم غير طعم العذاب دونك ،
 ولكنه ، زائعا ، عذاب خارج ، صهوة
 تتعلمي مع الترويض .

انني المره ما يدركني بله ، لانه
 ينلا هراها الحرف انه سينا له يرتفع .
 ان لا استطيع ان اهدى مادته هراهي
 منما يرتفع الناس قرصانهم ... ويا لكثرة
 الاشياء التي تدركني بله : الشعر الاسود
 فيه يتوقع وراه اي منطفف يرتفع
 حلدي ، النظارات السود ما تزال
 تجرني .. السيلات ، السوارح ، الناس ،
 الاصدمار الذمير تركت مع عيونهم
 صباكي ، اعقاع ، الأكل ، المكتبة ،
 ارشائي ، المكتبة ، البيت ، الهاتف -
 كل ذلك كله .. هوانتي ، وعيادك
 وقتبه : اذكره طالما اننا .. وصيه
 اشقر ان كشي احسنه سيقبل في
 العصى .. وصيه تحظر اذكره ، وصيه

ترعد السالك : منه محلاً ؟ وصيه
أرى كأساً امتوك : هذ تشراب ؟ ثم
ماذا ؟

لقد صرت بعداني ، وكنت عليلت
إن الجبار فرتيه إلى المنطق ، هارياً أو
مركباً على بفرار منه أقرب الإرسيد
إلى الرحمن وألها هيك تجراً في صدره ؛
الوطن والطيب .

وإذا كان عني انه المصن منه أهل
انه استود الرحمن فتوق في ، أنت
استلا الجنينة التي كليله ، كل الامتة ،
كوابيس التي لا تخفى .. كيف استردك ؟
اقول له : دونه انه اخضع عيني
ودونه انه رقتف : اني انام الى جوارته
للليلة ، قطع واقصر لحق واسمح
لهائل واسمح في بحر العتمة مع
هبة و هوية وروصلة ورايد
واقول وانما كما عتبه نسيج : يا عارة
يا نارة يا عارة ..
واخضع عيني

وهي اليتيم ليس تحت سارك غيرله ،
وهي اقود سيارتي في تحبه الليل
وهي اقول اليلة ساعات من جنون ،
استاجر - الصلح - استم السائقين ،
اسرع - ثم استف : استويته واقبلان
وانتني .

انتي مع عتبه جنون وكنتي ارحم
قبل اي انسان آخر انه وجودك عني
جنون آخر له طعم الادة ، وانته
سراجه استر ، التي لا كلين انه تصلح في
قالب اريوه ، انما - جنون تنسرتي حافظه
ال الموت !

امن من الحافظ مع المنقول ، رفعت
الساعة .. لم كيه حمة اهد يتكلم على
الطير اترق وهمت ، جد طقة ،
صوت جنانه : عارة ؟

وهذا كلامه منسجدا .. أنت خبيثة
 وفاتمه وبولسوية .. وبسبوتة
 تستطيع ان تدرسي ابي في
 قاعة المناظرة ، وتدرسي عليه
 وانت تصعدين الى ما تريد ..
 ولكني اقول .. اني اقبل حتى لك
 الداية لبقية !

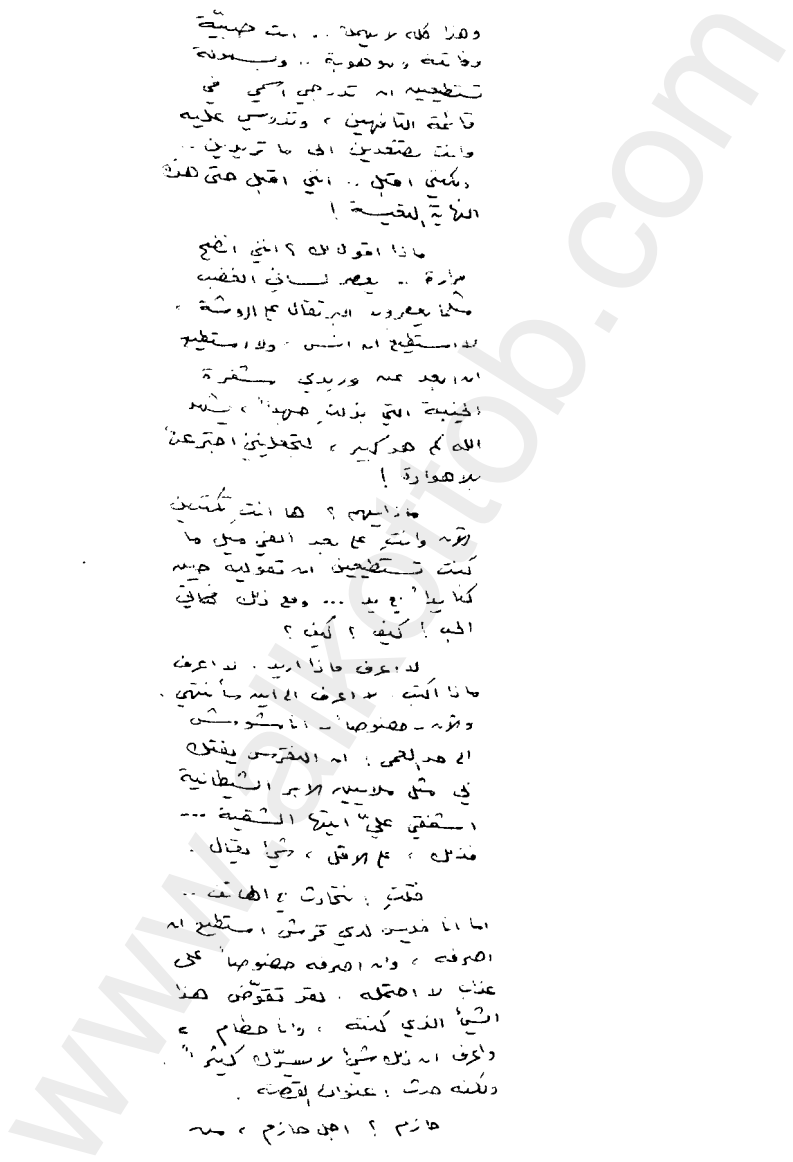
ماذا اقول لك ؟ اني اخرج
 منارة .. يعبر لناي الفضة
 كلما يعبرون البريقال على الروحة
 لا يستطيع انه انسى .. ولا يستطيع
 ان يعيد عنه ويريد بفترة
 الخبيثة التي بذلت جهدا ، بيد
 الله كم هو كبير ، لتجعلني اهرب عن
 يد هوارة !

ماذا نسيم ؟ ها انت تمشين
 الراء وانتر على بعد الفتي على ما
 كنت تستطيعين ان تقولي عليه
 كما بدأ .. مع يد ... ومع ذلك مصاتي
 الجب ! كيف ؟ كيف ؟

لا اعرف ماذا اريد . نداء عرف
 ماذا اليت . نداء عرف الى ايه ما نسيم
 وفرة - مفضوفا - اناسكواكس
 الى هذا يعني : ان القرس يفتل
 في مثل جلايسير الابن الشيطانية
 اسكتني عني امير القصة ---
 فذلك : مع الرقيل ، شي يقال .

قلتي : تجارت ع الهاتك ..
 اما انا فليس لدي قمرس استطع له
 الصوفه ، وانه اصفه مفضوفا على
 عذب لا اهتمه . لقر ققوصن هذا
 الصيا الذي كنته ، وانا هظام ،
 وانرف انه زله شي لا سترن كثير
 ولكنه هرت : بعنوان لآصته .

هازم ؟ اهن هازم ، صه



لوع المرصية : التي انشأها جماعة
منهم وهم الصواب المحدث ، وللمن
اقل منه جماعة : وهم حجب .

اني اعطيه على قصة .
فقطه يدبر بالتحسين : انوب
انتبا .. وساكونه صغيراً لو
عفت كيف كتبتك عند رجلك
اهله هفاً ، ولم تحلى بحدك ،
وظل يترسك ، ولم يكرت بما
سئاً : ع سبلاً .. وونه انه حجب
بالحجاب سبلاً ، الا ، آذان
الفردي " في الاعتراك والعتك .

لا
لا تحدي صبح باهاتف .. انسي
في كبر : ان انا اصب - سائله الى
الفردي ، وساعتك في صبحا
الله ورات يوم ساعطيه لانه .. انسا
- انسا لفتة - اجمل ما كتبت
والفردي صبحاً ..

كنت قد كنت لا عر سبتي
السابقة انهم يريدون لسبتي
لمصوبه من لفردي .. هاو لي اس
تفعلني ، والتي لا عر سبتي لفردي .
اهولك ، النبي في .



بطاقة بريدية من السودان

١٧ مارس ١٩٦٨

الأخت غادة السمان

مجلة الحوادث

بيروت

لبنان

رغم كل القيظ الذي هنا أردد دائماً: شو هالبرد^(١)! لا ينقصني إلا
٣ كيلو^(٢) من الوزن أنتظرها كما ينتظر العطشان.. أذكرك، واخترت هذه
البطاقة بدقة لأنني أعرف كم تحبين الموسيقى وكم أعتاظ منها... تحياتي
لكم جميعاً..

غسان

(١) العبارة التي سبق أن كتبتها له في بطاقة بريدية.

(٢) كان يريدني أن أضيف ٣ كيلوغرام إلى وزني خوفاً على صحتي، وحتى اليوم لم افعل!...



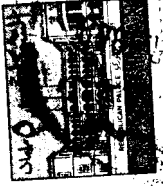
بطاقة بريدية من السودان

اغني كل القطع الذي هنا
ارود طابا ! هوها لهور !
لا شتني في الا كيكبو مسر
الوزة انتظرونا كاي منتظر ابلال ...
الركلة ، وانه ت غنه اللملحة
مدقنة طابا المن كم قبينة
الوسعي وكم المتناظر سوية ...
قباين كيم تبيسا ؟ ..

الوسعي

COPYRIGHT RESERVED TO SUDAN EXHIBITION OPT.

الوسعي
-- genova



البلدات نادرة - ١ - ٢ - ٣

بلدات النوار - ١ - ٢ - ٣

بلدات
بلدات

بطاقة من أسوان إلى بيروت (*)

٦٨/٢/١٤

تحيات وأشواق من المؤكد أنها ستدفعني للوصول قبل هذه
البطاقة...

غسان

(١) تعذر عمل صورة (فوتوكوبي) عن البطاقة لأنها مكتوبة بحبر أحمر فاتح اللون جداً.

عزيرتي غادة..

في نفس اليوم الذي تلقيت فيه رسالتك كنت قد أخذت عنوانك من سليم^(١) وعزمت على الكتابة لك مطولاً، ولكن حين قرأت اسم كريس^(٢) في العنوان انتابني شيء غامض، واكتفيت بأن أكتب لك، على عنواني^(٣)

نزلت علي رسالتك كما المطر على أرض أعتصرها اليباس. مثلك لا شيء. مكانك لا يملأ، كلماتك وحدها التي لها صوت يغطس إلى أعماقي. أراك دائماً أمامي، أشتاقك، أعذب نفسي بأن أحاول نسيانك فأغرسك أكثر في تربة صارت كالحقول التي يزرعون فيها الحشيش: لا تقبل زرعاً غيره إلا «عباد الشمس»، وأنا لن أنهي حياتي عبادةً للشمس. أقول لك: إنني أشتهيك، ولا أستحي لأنك صرت الشيء الوحيد الذي أخفق له. هل

(١) سليم اللوزي.

(٢) كريستوفر، صديق بريطاني من أصدقائي في لندن، وكنت مشردة تلك الفترة فتكرم بإعارتي عنوانه البريدي.

(٣) هذه الرسالة نشر غسان بعضها في ملحق الأنوار الأسبوعي الذي كان يرأس تحريره، وكتب بعضها الآخر بخط يده على هامش الجزء المنشور كما يرى القارئ في (الفوتوكوبي). وفي تونس، كتب الأستاذ عبد الرحمن مجيد الربيعي في جريدة الصدى بتاريخ ١٩٩٠/٩/٢٣ يقول: «أحب أن أذكر أن المرحوم غسان كنفاني عمل في أواخر الستينات رئيساً لتحرير الملحق الأسبوعي لجريدة الأنوار اللبنانية وكان يكتب صفحة أسبوعية فيها. صفحة لا يحلل الوضع السياسي العربي أو العالمي بل يكتب عن خفق قلبه ونبض وجدانه وكل أصدقائه كانوا يعرفون أن تلك الصفحات كانت لغادة وعنها، فلماذا لا تنشر في كتاب أيضاً سيما وأن هناك لجنة مهمة بنشر تراثه كاملاً؟ كما كان غسان يكتب زاوية لنقد الكتب الجديدة ويوقعها باسم فارس فارس، هذه الكتابات لم تر النور كذلك ويجب أن يحصل لها ذلك.»

سأراك حين تعودين؟ أم تفضلين الكفر بتلك الساعات التي جبلت في
لحمتنا حتى القرار؟

مأساتي (ومأساتك) انني أحبك بصورة أكبر من أن أخفيها
وأعمق من أن تطمريها. أترك في نفس المكان؟ إذن يا للمأساة التي لن
تنتهي! أقول لك: تعالي، ودعينا نهدم الجدران جميعاً، إن حياتنا أصغر
من أن نهدرها في الشطارة. أعترف!
... وهأنذا متروك هنا، كشيء!

كيف تركتك تذهبين؟

كيف لم تطبق كفاي عليك مثلما يطبق شرع في بحر التيه على حفنة
ريح؟

كيف لم أذوبك في حبري؟ كيف لم أجعل من لهائنا معاً زورقنا
الواحد إلى نبض الحياة الحقيقي؟

كيف ذهبت دون أن أحس بك؟ كيف مرت عينك في عمري دون أن
تتركا على وجهي بصماتهما؟ كيف لم أتمسك بك؟ كيف تركتك - يا هوائي
وخبزي ونهاري الضحوك - تمضين؟

أيتها المرأة الطليقة، يا من قبلك لم أكن وبعدك لست إلا العيب،
من بحر عينيك سقيت ضياعي جرعة الماء التي كانت دائماً سراياً، وفوق
راحتك تعرفت إلى مرساتي ووسادتي وليلي.

يا طليقة! أيتها المرأة التي مثلك لا يرى، أيها الشعر الذي رف
تحت جفني مثل جناحي عصفور ولد في رحم الريح، أيتها العينان اللتان
تمطران خبز القلب وملح السهوب الجديدة، يا طليقة: كيف انخلت هكذا
عني؟ كيف شلت مرساتك من عشبي وتركت بحري؟ بعدك ليس إلا
الخواء، دونك لست إلا قطرة مطر ضائعة في سيل.

عشت معك حقيقة عمري. ضعت فيك إلى حد لم أصدق أنه قد
تمضين، كان ذلك مثل المستحيل، ولكنك - ذات صباح - غبت، كما لو
أن شروقك في جبيني لم يكن!

وورقة على حافة الفجيرة:

«غادرت لتوك، وما زلت أحسك بين ذراعي. راقبت المصعد يهبط، الضوء ينطفئ، خطواتك تختفي. وغداً سأراك لأودعك، ولكن ذلك سيكون مرعباً، إلا إذا تصرفنا بحداقة غير إنسانية... هل أقول لك: إلى اللقاء؟ إنها كلمة ليست شخصية بصورة كافية، تبدو وكأن شخصاً ما قد استعملها قبل لحظة وتركها مرمية هناك. الشيء الوحيد الذي أستطيع أن أقوله...»

أيتها الطليقة...

ذلك كله عبث. الكلمات كلها علكت من قبل أناس آخرين، ولكن وقع يدك على جبيني كان دائماً ولادة لشيء رائع ومتوهج، مثل ومضة لهب، كان دائماً شيئاً خاصاً وشخصياً ولا يعوض.

الكلمات عبث، أيتها السحابة التي أمطرت على جفاني موسماً من الخصب، ولكن في عينيك كانت توجد دائماً الكلمة الجديدة البكر التي لم تصدأ من كثرة ما تناقلتها الشفاه. كانت تولد في قبضة الصمت نبضاً عبقرياً يلتمع بالدهشة.

الكلمات عبث، وأنت كنت دائماً لغتي التي لا يفهمها أحد، وراء التعويذات التي اخترعها أجدادنا وسموها حروفاً وأصواتاً، لقد كان شعرك مطري، وراحتك وسادتي، وذراعك جسري، وعيناك بحري، وشفقتك كأسي. كان انتظارك عمري، وحضورك ولادتي وغياك ضياعي.. وها أنت تذهبين مثلما تعبر ريح الصباح شباكاً مهجوراً: تحييه لحظة، ثم تعيده إلى الغيب...

كيف تركتك تذهبين؟ ما الذي سأفعله بعدك؟ أي أرض ستخصب بعدك؟ وأي شباك سيدخل إلى جفاني ويباسي ريح الصبح؟

سألك الندم عمري. ندمك وندمي. لقد نسفنا بأيدينا الشجرة الوحيدة التي صادفناها في رحلة عمرينا، ولم يبق أمامنا إلا أن نكمل الشوط في قيظ الوحدة التي لا ترحم. أنت وأنا اعتقدنا أن في العمر متسعاً

لسعادة أخرى، ولكننا مخطئون، المرأة توجد مرة واحدة في عمر الرجل، وكذلك الرجل في عمر المرأة، وعدا ذلك ليس إلا محاولات التعويض، بذل النسيان والندم راقعة فوق راقعة.

إن أسعدنا هو أبرعنا في التزوير، أكثرنا قدرة على الغوص في بحر الأقنعة. ننسى؟ ذلك مستحيل، وأنا - أيضاً - لا أريد أن أنسى. ليس بوسعي أن أطمر الزهرة الوحيدة في عمري هكذا، لمجرد أنك ذهبت، وأن أملي في أن ألقاك هو مثل أملي في أن ألقى طفولتي.

فيا أيتها الطليقة التي حملها جناحها إلى أرض لا أعرفها، والتي كان علي منذ البدء أن أعرف بأنها، مثل العصافير، ستضرب في فراغ السماء وجاذبية المدى الذي لا يحده حد، لست أطمع منك بالعودة. لقد رف جناحك في زنزانتي وتركا في هوائها الساكن شيئاً يشبه خفق القلب، زرعا في صمتها خفقة طليقة وتركاها تغطس في وحدتها المرة.

لست أطمع منك بالعودة، فالعصافير لا تسكن أعشاشها مرتين، وحين نفضت عن ريشك كسل القرار عرفت أنا أنك لن تعودني..

ولكن كيف تركتك تذهبين؟ كيف لم أربط نفسي إليك مثلما ربط السنبداد نفسه إلى ريش الرخ؟

ليس عندي، أيتها الطليقة، يا خبزي ومائي وهوائي، إلا الندم، وبعيداً في قراره توجد بذرة للشجرة القادمة.

بلى.

سأراك مرة أخرى، ذات يوم. ترانا - يومذاك - سنكسر من حول جلودنا يراقات النسيان التي سنبنينا فوق اللحظات النادرة في حياتنا، كي لا نظل صرعى الخذلان؟

إن العمر خديعة، يا طليقة، وإلا كيف يمكن أن يكون عمري معك عمراً وعمري دونك عمراً أيضاً، وكيف يمكن - بعد هذين العمرين - أن أراك مرة أخرى وتكونين أنت وأكون أنا؟ لماذا لا؟

ماذا أقول لك؟ إن النسيان هو أحسن دواء اخترعه البشر في

رحلتهم المريرة، ومع ذلك فأنا لن أنساك. أنت تخفقين في رأسي مثل
جناحي عصفور طليق، أمام بصري ينتثر ريش الطائر الذي حط وطار،
مثل ملح البصر...

وها أنذا، متروك هنا كشيء، على رصيف انتظار طويل، يخفق في
بدني توق لأراك، وندم لأنني تركتك تذهبين. أشرع كفي اللتين لم تعرفا،
منذ تركت، غير الظمأ.
وأقول: تعالي..



نكرتها

عزينا عارة

في نيل الياقوت الذي نلتك

ولم بعدت هلتيه من ليلهم وديتهم من الوعاء التي ايتها تظهه

ولبت قد افدت هلتيه ولله هبه وتاليه من البيتين مع اني لم اعطهم من صلاتهم اهادوه

الكنانة من لغتهم وراثة من الملة والهلل وهم الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتمايبتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتلمتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتلمتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتلمتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتلمتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتلمتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتلمتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتلمتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتلمتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتلمتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وتلمتني من صلاتهم من الهة الالهة التي لم تفهمه نبيك

وهانذا متروك هنا كشيء !
 ما ساق (دعاسته) اني اصعب هوية انه منه ان الله
 وانك منه ان طهره . اترك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا

ما ساق (دعاسته) اني اصعب هوية انه منه ان الله
 وانك منه ان طهره . اترك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا

ما ساق (دعاسته) اني اصعب هوية انه منه ان الله
 وانك منه ان طهره . اترك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا

ما اساق (دعاسته) اني اصعب هوية انه منه ان الله
 وانك منه ان طهره . اترك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا

ما اساق (دعاسته) اني اصعب هوية انه منه ان الله
 وانك منه ان طهره . اترك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا

ما اساق (دعاسته) اني اصعب هوية انه منه ان الله
 وانك منه ان طهره . اترك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا
 اني لم تستحي اقوله من : تحاك في نيلك ودرعنا نكرم الطير انه جميعا

وغيره ...
الكلبات عبت ، وانت كنت دائما لئسني

التي لا يعنها احد ، وراه العوزياك السني
اخبرها احدانا وسموها خروفا والصرايا
لقد كان يترك مطري ، وراحتك وساني ،
وذكرتك حيري ، وبتلاك حوري ، وشفاك
كاسي . كان ابتلاك عمري ، وحضورك
ولادتي وبتلاك ضياعي . وما كنت
بدهين ملها لغير ربح الصباغ شفاك
مهورا . تحبها لطفه ، ثم تعبه السني
المسيت ...

كف بتوكك تذهين ؟ ما الذي سامطله
بمدك ؟ اي ارض سخطك بمدك ، واي
بتاك سخطك الى جهاني وبتايي ربح
المسيت ؟

بتاك اللدم عمري . بتوكك وبتوي
لقد تسقا بتاييما الشجرة الواحدة التي
صاغتها في رطله عمريا ، ولم يبق اماها
لا ان تكمل الشوط في قبط الواحدة المسمى
لا ترحم . انت وانا اعطينا ان في المسير
ميسما لسمله اخرى ، ولكننا محظون ،
الراه يوجد مرة واحدة في عمر الراهل ،
وكله الراهل في عمر الراهه ، ولما نلناه
ليس الراهل المسمى ، بل الراهل
والدم رائحة فوق رائه .

ان اسمنا هو ابرينا في التورير اكلنا
قوة على الموص في بحر الابهة . بتيبي
ذلك مستحيل ، وانا . ايضا . لا اربط
ان السني . ليس بوسني ان اطير الراهه
الواحدة في عمري هكذا ، لحد الاناهتس ،
وان الهمي في ان الفاكه هو مثل الهمي في ان

عشت بمدك حقيقة عمري . فمت بتك
الى حد لم اصطلق انه قد توفيقين ، وكل
ذلك بل المستحيل ، ولكنك . ذاتصباح
فتت ، كما لو ان شروكك في جيتي لم يكن
وروية على حافة الابهة .

« غلبرت لوك ، وما زلت اهمك بسين
ذراعي ، رايت الصمد عبيط ، الهمسواك
ينظر ، فطرايك تخفي ، وغدا يسرايك
لؤوك ، ولكن ذلك ستون مرعا ، ال انا
تصرا بخافته غير السني . . . هل اقول
اك : ال الفاكه ؟ انها كلمة ليست شخصية
بعمرة كاتيه ، بسو وكان شخصيا ما قد
السني الواحد الذي استطاع ال افواه . . .
انها الطلقة . . . »

ذلك كله بيت . الكلبات كلها علك من
قبل اناس اخرين ، ولكن وقع بتك على
جيتي كان دائما ولا تفسه ، رايح وبوتج
جيتي

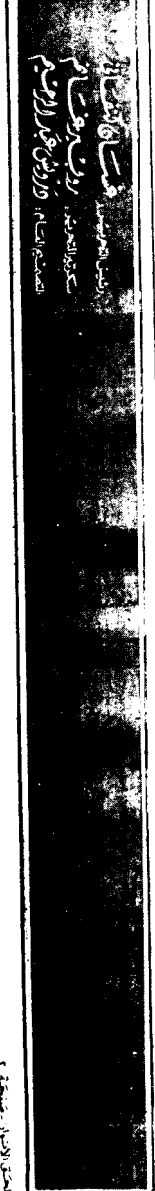
حذارة

الكلبات عبت ، وانت كنت دائما لئسني
التي لا يعنها احد ، وراه العوزياك السني
اخبرها احدانا وسموها خروفا والصرايا
لقد كان يترك مطري ، وراحتك وساني ،
وذكرتك حيري ، وبتلاك حوري ، وشفاك
كاسي . كان ابتلاك عمري ، وحضورك
ولادتي وبتلاك ضياعي . وما كنت
بدهين ملها لغير ربح الصباغ شفاك
مهورا . تحبها لطفه ، ثم تعبه السني
المسيت ...

كف بتوكك تذهين ؟ ما الذي سامطله
بمدك ؟ اي ارض سخطك بمدك ، واي
بتاك سخطك الى جهاني وبتايي ربح
المسيت ؟

بتاك اللدم عمري . بتوكك وبتوي
لقد تسقا بتاييما الشجرة الواحدة التي
صاغتها في رطله عمريا ، ولم يبق اماها
لا ان تكمل الشوط في قبط الواحدة المسمى
لا ترحم . انت وانا اعطينا ان في المسير
ميسما لسمله اخرى ، ولكننا محظون ،
الراه يوجد مرة واحدة في عمر الراهل ،
وكله الراهل في عمر الراهه ، ولما نلناه
ليس الراهل المسمى ، بل الراهل
والدم رائحة فوق رائه .

ان اسمنا هو ابرينا في التورير اكلنا
قوة على الموص في بحر الابهة . بتيبي
ذلك مستحيل ، وانا . ايضا . لا اربط
ان السني . ليس بوسني ان اطير الراهه
الواحدة في عمري هكذا ، لحد الاناهتس ،
وان الهمي في ان الفاكه هو مثل الهمي في ان



صباح يوم ٢٨/١٢/١٩٦٦ أيقظني قرع على الباب. كان غسان واقفاً منهكاً وغاضباً، وناولني هذه الرسالة قائلاً: إنها لك. كتبتها لك، ولكنني خاطبت أختي فائزة فيها لغضبي منك. وتركها بين يدي ومضى.. وكانت رسالة بدأ كتابتها في الليلة السابقة، ليل ٢٧/١٢/١٩٦٦ وختمها برسالة أخرى بعد طلوع فجر ٢٨/١٢/١٩٦٦.

صعقني ما ورد فيها فقد كنت ليلتها بحاجة إلى أن أدخلوا إلى نفسي بعد سهرة مع بعض الأصدقاء ولم يخطر ببالي أن ذلك سيزلزل غسان إلى هذا المدى.. أم تراه خطر ببالي وتعمدته في اللاوعي؟ أم تراني كنت أريده حقاً أن يقضي سهرته مع أسرته ولذا اقترحت عليه الذهاب مبكراً إلى هناك ووعدته بأن أهتف له لأضمن ذهابه مما أثار شكوكه؟ هل تعمدت إثارة شكه؟ ما زلت حتى اليوم لا أدري، ولكنني أذكر جيداً أنني كنت دائماً حريصة على كيانه العائلي بقدر حرصي على استقلالية كياني.

عزيزتي فائزة..

إنني أغيب عنك سنوات ولكنني أعود، أنبع فجأة، وأنت تقولين لنفسك: ها هو الطفل يعود. كنت فيما سبق تغضبين وتحزنين وتقولين إنك تفتقديني ولكنك استسلمت أخيراً لذلك الطفل الغريب الأطوار دائماً، المغلوب على أمره دائماً، الباحث عن ملجأ دائماً.. تستطيعين الآن، بعد ثلاثين سنة، أن تطمئني لشيء واحد هو أنني سأظل أعود، فقد كتب علي كما يبدو أن أظل مهزوماً في أعماقي، إن الشيء الذي انكسر في حين كنت في العاشرة لن يلتئم، وقد ظلت دائماً أوفى الناس لشيء اسمه التعاسة وسوء الحظ. وهأنذا أعود مرة أخرى لك، ربما لأنك بعيدة عني ولأنك الجزيرة التي لم تعد لي ولأنك لا تستطيعين أن تأخذيني معك وفيك ولك..

ما الذي حدث خلال السنين الطويلة الماضية؟ ما الذي حدث، بالضبط، منذ اقتحمت عليك غرفة العمليات؟ هل تذكرين؟ يوم رفعت المشرط في وجه المسكين ولسون، ذلك الاسكتلندي الطيب الذي كان يجد في ما لم أجده أنا نفسي، إنه يضحك بلا شك حين يذكر القصة. كنت أنا على حق رغم كل شيء، وقلت له: ليمت الطفل، ولكن إذا ماتت هي فستمت معها هنا. ورفضت أن أخرج وظللت مثل مجنون فار مثبتاً ظهري إلى الزاوية وأنظر إليك مضرجة بالدم تحت أصابعه الباردة وحين تنفس الصعداء بعد قرن من الرعب أخذت أبكي، وسقط المشرط من يدي... ولم أرك إلا بعد أن صار أسامة في الرابعة من عمره..

لماذا أذكرك الآن بهذا الشيء الذي مضى؟ ربما لأنني أشعر كم كنت على حق.. إن الإنسان ليس إلا مخترع ملاجئ، هكذا كان وهكذا

هو وهكذا سيظل، وكل ما عدا ذلك هراء في هراء، وأقول الآن: كنت أحس ملجأً عميقاً داخل تلك الغريزة التي كنت تسمينها، حين كنت طفلاً، النبوة، وكنت أحس كم كان فقدانه هولاً تساوت فيه إرادة العيش بشفرة المشروط. إنني لا أنسى حدقتي الدكتور ولسون حين كانت تسبح فيهما تلك الكرتان الزرقاوان، كان رجلاً قادراً على الفهم من فرط ما شاهد الناس يموتون ببساطة ويتركون وراءهم العالم بملاجيء أقل، وكان يعرف أنك ملجأً.

وهأنذا أعود يا فائزة مثلما كنت أعود إليك طفلاً شقيماً ميللاً بمطر يافا الغزير وتستطيعين بنفس الصوت القديم أن تقولي لي: «كنت تسير تحت المزاريب، أنا أعرف كم تبلغ بك الشقاوة...» تحت المزاريب يا فائزة تحت المزاريب.. إنني أعطيك رأسي بعد أكثر من عشرين سنة لتجفيفه مرة أخرى رغم أنني أحسه مبتلاً من الداخل، أعطيك رأسي، أنا الشقي المسكين، فلم يتبق ثمة شيء إلا يديك.. وبالضبط لأنهما على بعد ألف ميل.

ما الذي حدث منذ ولد أسامة عبر ذلك المخاض الصعب الرهيب؟ بالنسبة لي ما تزال دفتا الباب الأبيض تروحان وتجيئان متقاطعتين منذ خرجت منهما.. هل تغير أيما شيء؟ ما الذي حدث؟ أي جنون يملأ هذا العالم؟ هل رأيت الدكتور ولسون مرة أخرى وتحديثاً عن جنوني؟ هل يعرفني أسامة؟ هل يسمع عني بين الفينة والأخرى؟ أما أنا فقد حدث لي ذلك الشيء الذي قلت لي مرة أنه وحده سيحطمني ذات يوم: الحب.

لو كنت هنا، وجلست معنا كما كنت تفعلين منذ زمن، لنظرت إلي في لحظة مسترقة وهزرت رأسك موافقة. لقد عشت عمري أنتظر أن أرى من رأسك تلك الحركة. حين جلسنا مع جاكليين في بحمدون قبل سبع سنوات انتهزت أول فرصة ورفعت أمام عيني حاجبيك كأنك تقولين «لا، ليست هي» وراحت جاكليين، وراحت مني، وراحت كوكب^(١) عبر حاجبيك

(١) أتمنى على جاكليين ومنى وكوكب عدم تمزيق رسائل غسان إن كتب لهن ذات يوم لأن تلك

الذين كانا دائماً يقولان «لا».. وجاءت هي. قولي لي إنها هي.

أخيراً هذا هو الشيء الذي كنت تنتظرينه يا فائزة وراء ظلال
دون أن أعرف.. هذا هو الشيء الذي وحده يستطيع أن يحطمني
كنت صادقة وكم كنت غيباً.. أذكرين يوم جئت إليك أقول إن حبي
سافرت؟ قلت لي على مائدة الفطور: إن شراستك كلها إنما هي لإخفاء
هش، لا حدود لهشاشته، ذات يوم ستصل أصابع امرأة ما
وستطحنه.. وإذ تجيء يومها إلي سافهمك وحدي!

هأنذا أجيء فكافئني بأن تفهميني، ليس بوسعك أن تنص
أحداً، إنني أتمزق وليس بوسعك أن تجدي، بعد، أذناً واحدة في
الجسد الذي كان كله أذان، إنما نجى دائماً متأخرين. متأخراً
متأخرين. أفهمت كل شيء الآن يا فائزة؟ متأخرين.

أقف الآن على هذا المرتفع في حياتي وأنظر إليها قاحلة
بالشوك والتوحد وتمتد في برودة الماضي وبرودة المستقبل دونما نها
ويبدو أنني أحاول أن أستبدل الوطن بالمرأة، أعرفت في عمرك كله ما
أبشع من هذه الصفة وأكثر منها استحالة؟ ولكن هذا ما يحدث
وأستطيع أن أكشفه بوضوح الآن كأن كل ما حدث لم يكن إلا أقفاً
أعمى إلى هذه النهاية. لقد حاولت منذ البدء أن أستبدل الوطن بالك
ثم بالعائلة، ثم بالكلمة، ثم بالعنف، ثم بالمرأة، وكان دائماً يعو
الانتساب الحقيقي، ذلك الانتساب الذي يهتف بنا حين نصحا
الصباح: «لك شيء في هذا العالم فقم» أعرفته؟ وكان الاحتيال يتها
فقد كنت أريد أرضاً ثابتة أقف فوقها، ونحن نستطيع أن نخدع كل
ما عدا أقدامنا، إنما لا نستطيع أن نقنعها بالوقوف على رقائق جليد
معلقة بالهواء، والآن: كنت أمشي على رقع الجليد تلك، وليس كل ما
وكل ما قلته في حياتي كلها إلا صوت تهشمها تحت الخطوات الطريا
مرة أخرى، ما الذي حدث؟ تزوجت فجأة، أنت لا تعرفين

== السطور لم تعد رسائل شخصية تخص تاريخهن بل تخص تاريخ الأدب.

بالطبع وقد فجأك الخبر مثلما فجأ والدي، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً، لم يكن يستطيع أن يحرمني من ثروته بعد أن حرم منها رغم أنه، ولم يكن يستطيع أن يمنعني من ولوج بيته بعد أن امتنعت من تلقاء نفسي ولم يكن يستطيع استنزال غضب السماء علي فلدي من غضبها ما يفيض عن حاجة رجل واحد.. ولم يكن هو أيضاً يعرف لماذا وكيف، ولكنني كنت أعرف، كنت أمارس تلك الفضيلة البشرية الوحيدة: كنت أخترع ملجأً.

لقد جاءت أني حين كنت قد شرعت، مختاراً ومرغماً، في الانزلاق على هضبة الوحل المغرية والجدابة، وفي ذات الصباح الذي قررت في مسائه أن أتزوجها كنت على وشك الاتفاق مع امرأة نصف ثرية نصف جميلة ونصف تحبني ونصف شابة على أن نعيش معاً. كانت تلك المرأة نصف الطريق إلى السقوط وأردت أن أجعلها محطتي كي أقبل الرحلة كلها فيما بعد إلى قرار القاع السحيق والمنسي. وجاءت أني ذلك اليوم مثلما تجيء رسالة البشرى من مكان قصي مجهول فجعلتها ملجأً للفرار في واحدة من ومضات النبوة التي تبرق في ضمير كل إنسان على ظهر هذه الأرض. أقول لك الآن: كانت فراراً.

كانت يا فائزة بعيدة عني في كل شيء. واحتجت إلى خمس سنوات كبيرة أظل مشغولاً خلالها في ردم الهوة المفتوحة بيننا، وارتكبت مرة أخرى خطأ الاحتيال: فحين عجزت عن ردمها كما ينبغي ردمتها بطفلين.

ولكنني رغم كل شيء ظللت مخلصاً للقيم التي احترمها والتي أورثني إياها إقطاع جدي المؤمن بالفضائل حين خسر أراضيه ولكنه أصر على كسب أخلاقه، وكنت أعرف في أعماقي أن الشراع المطوي في أعماقي سيمتلئ برياح الغربة من جديد ولكنني ظللت صامداً، وبقسوة السكين تخليت عن حياتي السابقة في سبيلها، كانت وما تزال امرأة رائعة، ربما الشيء الوحيد في هذا الكون الذي أستطيع برضى لا حدود له، أن أقدم لها حياتي إذا ما تعرضت لخطر الغياب.

أقول لك ذلك الآن رغم أنك سألتني ذات يوم وكنا وحدنا: هل أنت سعيد معها؟ فقلت لك حاسماً وصادقاً: لا. إن الحب شيء وعلاقتي بها شيء آخر، وهي تعرف.
ثم جاءت غادة.

جاءت؟ لا، إن الكلمة الأصح هي: عادت. لقد كانت موجودة دائماً في أعماقي. أنا لا أتحدث عن الفترة التي كنت أراها فيها عابرة في ممرات الجامعة قبل عشر سنوات، لا. إنني أتحدث عن وجود أكثر تعقيداً من ذلك وأكثر عمقاً. ماذا أقول لك وكيف أشرح لك الأمور؟ دعيني أقول لك كيف: أمس كنت أذوب شمعة فوق زجاجة، أتلهى بهذه اللعبة التي يكون فيها الإنسان شيئاً فوضوياً وغامضاً من زجاجة وقصيب شمع، وكان ذوب الشمع قد كسى جسد الزجاجة بأكمله تقريباً، وفجأة سقطت نقطة من الشمع الذائب دون إرادة مني وتدحرجت بجنون فوق تلال الشمع المتجمد على سطح الزجاجة واستقرت في ثغرة لم أكن قد لاحظتها من قبل وتجمدت هناك فجعلت ثوب الشمع بأكمله يتماسك من تلقائه.

هذا ما حدث، ولست أجد أي وصف آخر له. ومنذ قابلتها أول مرة^(١) عرفت في أعماقي كل الذي سيحدث، على الأقل من جهتي. ورغم ذلك فقد كنت مثل الذي يدخل إلى حقل من الرمال المتحركة لا يعرف فيما إذا كان عليه أن يعود أو أن يقطع الطريق إلى الأمام.

عمري الآن سبعة شهور، ولن تصدقي كم تغيرت. أنا نفسي لم أصدق ولا أصدق، ويبدو أن هناك رجال لا يمكن قتلهم إلا من الداخل. لقد عذبها الكثيرون في حياتها وهي وحيدة ولا تستطيع أن تردم الهوة بينها وبين العالم إلا بالرجال، (في الواقع لا أؤمن بهذا). وقد قاله لي هاتف مجهول قبل أسبوع) ألم أردمها أنا بطفلين!

(١) التقينا للمرة الأولى في جامعة دمشق أمام باب قاعة الامتحان الشفهي ولم أكن قد سمعت به أديباً يومئذ. بعد أيام الجامعة لم نلتق فترة أربعة أعوام حتى التقينا مصادفة في جريدة المحرر ببيروت، وكان غسان مصراً على إلغاء تلك الأعوام من حياتي وحياته!

لنحاول كرة أخرى: إنها تحبني وتخشى إذا ما اندفعت نحوي أن أتركها مثلما يحدث في جميع العلاقات السخيفة بين الناس، وتخشى إذا ما ذهب في علاقتنا إلى مداها الطبيعي أن نخسر بعضها. ولكن يا فائزة هذا كلام كتب وأطباء ومدرسي حساب وليس عواطف امرأة أمام رجل يحبها وتحبه..

لنحاول مرة ثالثة: إنها تحبني إلى حد لا تريد فيه أن تقوِّض حياتي. ولكن من الذي قال لها أن هروبها لن يفعل؟

يا فائزة. إنني أثق بذكائها، ربما أكثر مما ينبغي. وأفسر كلامها مثلما يفعل الباحث في المختبر. يخيل لي أحياناً أنها أمام الناس تحاول إذلالني. إن ذلك لا يغضبني (نعم فقد وصلت إلى هذا الحد!) ولكن لماذا؟ ما الذي يدفع إنساناً ما إلى تمزيق إنسان آخر يحبه بهذه القوة؟ أمس قالت لي أمام صديق: إن أي رجل في هذا العالم لن يدخل بيتي إلا هو، لأنه أخ (وكانت تتحدث عن صديقي) لماذا؟ ما هو ذلك الشيء الرهيب الذي يدفع امرأة بأن تقول هذا الكلام للرجل الذي تحبه أمام صديقه؟ لست أدري يا فائزة. ولكنني ليل نهار، لحظة وراء الأخرى، أفكر في ذلك كله وأعيش وأتعذب فيه ومن أجله.. أحياناً أنظر إلى عينيها وأقول لنفسني: ينبغي أن تكره هذه المرأة التي يروق لها إذلالك على هذه الصورة، ولكنني لا أستطيع. كنت فيما سبق أستطيع أن أصل إلى قرار في لحظة حين أقول هذا الكلام لنفسني.. أما الآن فأنت لن تدركين تعاستي!

إن الدنيا عجيبة، وكذلك الأقدار. إن يداً وحشية قد خلطت الأشياء في السماء خطأً رهيباً فجعلت نهايات الأمور بداياتها والبدايات نهايات.. ولكن قولي لي: ماذا يستحق أن نخسره في هذه الحياة العابرة؟ تدرकिन ما أعني. إننا في نهاية المطاف سنموت.

وأنا لم أكتب لك ذلك كله لأطلب نصيحة، أستطيع الآن أن ألقى محاضرة حول هذا الموضوع.. ولست أدعي أنني أعرف كيف ستنتهي الأمور، ولكنني ذات يوم سأكون قادراً على أن أقول لنفسي وأنا أودعها

أمام باب بيتها دون أن تتيح لي لحظة الاقتراب منها: «لقد ماتت». وعندها سأبكي، وقد ارتكبت حماقة، وقد أنكسر لشهر أو شهرين، وسيظل قلبي يقرع كلما أقرأ عنها أو أراها أو أسمع أخبارها مثلما يقرع قلب المرء حين يصادف شبحاً، وأقول لك ما هو أبشع: قد أنزلق وأتحطم ولكنني أبداً أبداً لن أقبل أن أكون صديقاً لها، أرى بعيني المكسورتين رجلاً يثبت أنه يحبها وتحبه. فلن أتحمل هذا الهراء. إنني.. كما قلت لك مرة - أفضل الموت عن الأسر. إن أحداً لا يستطيع أن يحبها كما فعلت، وعلى الأقل من أجل الحقيقة فسأرفض دائماً أن أقبل الزيف.

... الأيام تدور أيتها العزيرة، تدور وتدور مثلما تدور رأسي الآن، وتحت غبارها التافه يأمل الإنسان أن ينسى. أتذكرين يوم روى لنا والذي المسكين كيف حشا جرح صديقه بغبار العنكبوت جمعه من ثقب سور عكا؟ قال لنا يومها ان الغبار أوقف النزيف.. يا لله كم كان يقرأ الغيب! ربما تسمعين ذات يوم أنني كفت عن حبها، أقول لك الآن: لا تصدقي. إنني أحبها بطريقة لا يمكن أن تذوي، كتبت لها ما لم أكتبه في حياتي ومعها ومن أجلها تحدت العالم والناس ونفسي وتفوقت عليهم جميعاً. إن حباً من هذا المستوى لا تقبله المرأة ولكنه مع الأسف يستطيع رجل ما أن يحمله وهو يعرف هذه الحقيقة. لا فرار ولا ملجأ هذه المرة فلنأمل بمفعول الغبار.

أنت تسألين: ما الذي تريده إذن؟ وأنا لا أعرف. أعرف فقط أنني أريدها. أنا لا أستطيع أن أفهم كيف ترفض المرأة رجلاً تحبه. إن علاقتكما، إلى أبعد مدى، تضحي حاجة، وإذا كنت أنا قادراً على اتخاذ قرار رهيب من النوع الذي اتخذته منذ شهرين فكيف تريدين أن أفسر الأمور؟ صحيح أن الجنس ليس أولاً ولكنه موجود.. أوه يا عزيزتي! ليس من السهل بالنسبة لي أن أبني معها علاقة جنسية حتى لو أتيتحت لي الفرصة لذلك، أذكر

(١) هذا السطر المشطوب الغاه غسان بنفسه، وكانت الرسالة هكذا عندما استلمتها، =

إذن ماذا أريد؟ لا أعرف أيتها العزيزة لا أعرف .. إن الحياة معقدة أكثر مما ينبغي لأناس سيعيشون أربعين سنة على الأكثر، والذي أشعره الآن أننا نضيع حياتنا هباءً... إن رجولتي لم تذلل في حياتها مثلما تذلل في كل ليلة أقول لها فيها: يوماً هائلاً... ثم أدير ظهري وأمضي كأنني قطعة خشب لا يسكنها عصب، وينزف جرح تلك الرجولة المهذورة حين أسمع وراء ظهري اصطفاق الباب: إن الأمر لا يعينها.

ماذا أفعل؟ حاولي أن تقولي لي رغم أنني لن أطيع، ولكن عسى ذلك يساعد في الوصول إلى شيء.. إننا تافهون حين يضحى القرار متعلقاً بنا. أحياناً أفكر في الالتحاق بالفدائيين عسى أن أموت شريفاً على الأقل، أحياناً أفكر بالسفر إلى مكان مجهول: أبدل إسمي وأعمل وأعيش إلى أن أموت بهدوء مجهول.. أحياناً أفكر في اقتحام بيتها والبقاء فيه.. ولكن ذلك كله - أسألك - ماذا يجدي؟ أتحسب أنني أفتش عن فرار من نفسي؟ لا. منها؟ لا. إذن ماذا أريد؟ إنني أريدها. ولكن كيف؟ كيف؟ أين هي البلاطة السحرية في هذا الكون التي نستطيع أن نضع أقدامنا فوقها معاً؟

إن الشيء الوحيد الذي أردته في حياتي لا أستطيع الحصول عليه. لقد تبين لي أن حياتي جميعها كانت سلسلة من الرفض ولذلك استطعت أن أعيش. لقد رفضت المدرسة، ورفضت العائلة. ورفضت الثروة، ورفضت الخضوع، ورفضت القبول بالأشياء، ولكنني أبدأ لم أرد شيئاً محدد، وحين أريدها تفر من أصابعي (وأصابع القدر والأشياء والعالم، أنا أفهم ذلك) مثلما يفر الماء من الغربال!

إنني أفكر بالنسبة لها كما يلي: معركتنا خاسرة، إذن فلنعمل على ربحها إلى أن تجيء اللحظة. الزمن ضدنا فلنستعمله طالما هو معنا. اللقاء مستحيل فلنتلاق حين يكون ذلك ممكناً. سنخسر كل شيء فلنربح الزمن كي لا نندم. البكاء قادم.

== وحاولت كثيراً قراءته وفشلت!.

أنا أعرف أنها تحبني، لا ليس كما أحبها، ولكنها تحبني. إنها ترد دائماً أنها ضدي إذا شَيَّأتها ولكنها لا تكف عن تشيبي دون وعي منها. إنها تهرب مني في وقت لا أكف فيه عن الاندفاع نحوها. إنها - رغم كل ما تقوله - تفضل التفاهة والمشاعر التي تمر على السطح، وأنا أعرف أن الحياة قد خدشتها بما فيه الكفاية لترفض مزيداً من الأخداش ولكن لماذا يتعين علي أنا أن أدفع الثمن؟ إنها امرأة جميلة - وتستطيعين رؤية ذلك في صورها - ولكنها أجمل في الواقع من صورها، وقد يكون دورها في إتعاسي وهزيمتي أنها مشتتة بطريقة لا يمكن صدها وهو أمر لا حيلة لها به ولكنني أيضاً لا حيلة لي به، وهي ذكية وحساسة وتفهمني وهذا يشدني إليها بقدر ما يبعدها عني، فهي تعني أكثر مني ربما طبيعة الرمال المتحركة التي غرقنا فيها دون وعي منا. أقول لك باختصار انها جبانة، تريد أن تكون نصف الأشياء، لا تريدني ولا تريد غيابي، وفي اللحظة التي وصلت فيها أنا إلى انتساب كامل لها كنت أبحث عنه كل حياتي تقف هي في منتصف الميدان.

إنني أدفع معها ثمن تفاهة الآخرين.. أمس صعقتني، مثلاً، حين قلت لها انني أرغب في رؤيتها فصاحت: أتحسبني بنت شارع؟ كانت ترد على غيري، وكنت أعرف ذلك ولكن ما هو ذنبي أنا؟

إنني أتمزق مثلما لم يحدث لي في حياتي أبداً، لا شيء كان قادراً على هزي بلا هوادة أكثر من هذه المرأة، إنني أحبها، وأشتهيها.. وفي سبيل ذلك ارتكبت حماقة أخرى لا يد لي بها: يا فائز، ليس لدي أية علاقة جنسية مع أي كان.. هل تفهمين؟ إنني رجل مأساتي هي في ذلك التوافق غير البشري بين جسدي وعقلي، هكذا قال لي الدكتور ولسون يوماً: ولذلك أنت مريض بالسُّكْر يا صغيري!

ولكن حذار أن تحسبي أن هذه هي المشكلة. لا. إنني لست صغيراً إلى هذا الحد ولم يعد الجنس بالنسبة لي نهاية الكون. ما هي مشكلتي إذن؟ لا أعرف، ولكنني أريدها. هذا شيء مستحيل كما قد

تقولين، وأنا أعرف ولكن هذه هي القصة.

دعينا نحاول اكتشاف الأمور ببساطة: لنقل أنها امرأة يلذ لها تعديبي فلنسعد الآن، الفراق لا بد منه فلنتلاق بانتظار أن يأتي.
أو فلنبتتر كل شيء الآن. هذه اللحظة، في جرح نظيف ونبيل ونهائي.

ولكن في الوسط؟ في الوسط يا فائزة التي تعرفين أنني لا أستطيعه، يا لتعاسة أخيك المغلوب على أمره.. إن سيزيف نسي قضيته ضحية الغادة. أما أنا فثمة صخرة واحدة، أحملها مرة واحدة، وأعود بها مرة واحدة!

وكيف حال أسامة؟ علميه أن الزيف هو جواز المرور الأكثر حسماً، وأن الدنيا هراء يكسب فيها من ينزلق على سطحها، لا تروي له أبداً أبداً قصة خاله الذي أراد ذات يوم أن يصنع الحياة بمشروط جارح.. إن الحياة أقل تعقيداً وينبغي أن تكون أكثر بساطة. إن الحياة مثل هضبة الجليد لا يستطيع أن يسير عليها من أراد أن يغرس نفسه فيها. الإنزلاق هو الحل وهو الاحتيال الأمثل.. علميه أن لا ينتظر ثلاثين سنة ليرتكب أخطاء خاله التعيس، وأن لا يتوقع شيئاً.

لا تكتبي لي جواباً. لا تكثرني، لا تقولي لي شيئاً. إنني أعود إليك مثلما يعود اليتيم إلى ملجأه الوحيد، وسأظل أعود: أعطيك رأسي المبتل لتجفيفه بعد أن اختار الشقي أن يسير تحت المزاريب!

١٩٦٦/١٢/٢٨

الشمس ستشرق بعد قليل، ولتوي تلقيت هاتفاً منها.. كنت أنتظرها طوال الليل وكنت أعرف أنني لو أردت أن أجد لها لوجدتها ولكنني كأنما دون إرادة مني كنت أريد أن أرى مدى اهتمامها هي. لا خبر، لا إشارة. لا شيء. قالت لي في الصباح أنها ستأوي إلى فراشها في العاشرة ولذلك «أذهب لبيتك باكراً اليوم».. ولكن حتى منتصف الليل لم

تكن هناك، ولا في الواحدة، ولا في الثانية، ولا في الثالثة... ثم هتفت لها فأبلغتني أنها كانت تشرب نبيذاً، وأنها كانت تسهر مع صديق... وسألتني: لماذا تأخرت؟

كانت تحسب أنني أحدثها من البيت ولكنني لم أكن هناك. كنت على بعد صرخة واحدة منها. كنت سألت في البيت عما إذا كان أحد قد هتف فقيل لي أن جرس الهاتف دق مرة أو مرتين دون جواب فهتفت لها، وهذا - يا فائزة - ما كانت تريد أن تقوله! هل تتصورين؟ كانت تجهد لتنال أذني كي تصب فيهما اللعنة.. ترى ما الذي يذكر هذه الإنسانية بي، إلا الذل؟

ما الذي حدث هذه الليلة؟ إنني مجنون. هذا شيء حقيقي: حين كتبت لك الصفحات السابقة كنت، أيضاً، على بعد خطوات منها، في المقهى المجاور وسيارتي إلى جانب سيارتها، ومثلما حدث وتوقعت لم تكثرث، وذهبت، وكنت أشرب كأساً مع كل صفحة حتى صار الليل وفتك الكحول بكتفي فلم يعد بوسعي أن أحرك ذراعي وقدت السيارة في المطر والغيش والذهول بهدوء لم يكن عندي في حياتي، وقررت أن لا أرى أحداً... لم أفكر بالموت، فكرت بالتعاسة فقط وعرفت أنني سأكون تعيساً إلى أمد طويل. إنني أحبها وهذا شيء لا أستطيع أن أنكره ولا أن أنساه ولا حتى أن أغفره لنفسي، وحين لمست أصابعي جسدها ذات ليلة راودني شعور مخيف، أخافني حقاً، بأنني لم ألمس امرأة من قبل.

وهأنذا مكسور ومطعون وبعيد عن كل شيء، غداً لن يكون يوماً آخر.. وأنا أعرف أنني أحتاج أن أكون وحيداً تماماً ربما ثلاثة شهور، أظل أكتب في هذه الأوراق لك، يوماً بعد الآخر، لترى بعينيك قصة رجل ينتهي، أو يبدأ، أو ينزلق، أو يغترب، أو يموت بالصدفة بعد ذلك كله.

وما الذي بقي لأفعله أيتها العزيزة؟ ما الذي بقي؟ بعد قليل سأشرب قهوة أخرى، وأحتاج لكأس حليب كي يظل صدري قادراً على التنفس.. وسأمشي، ولكنني لن أرى أحداً... وسأضع نفسي في مكان أبعد

وأناى من أن أسمع فيه صوتها وأكثر انخفاضاً من أن يتيح لي رؤيتها أو التحدث إليها.

أجلس الآن في الشمس وأكتب. مررت من أمام بيتها عشر مرات ورأيت سيارتها ووقفت على حاجز الروشة أتفرج على الناس والأطفال والموج وأنا أكاد أغفو على الحاجز. لأول مرة منذ سنوات نسيت الإبرة اللعينة ونسيت الطعام.. تراها سألت عني؟ ذلك لن يكون إلا إذا كانت تريد أن تراني معذباً، أو تريد أن تنصحني تلك النصيحة التافهة: إذهب إلى بيتك باكراً.. أو تقول لي: لماذا تغار؟ بعيدة عن الحقيقة بعيدة بعيدة.. ستجد ألف عذر لترضي هذا الطفل القنوع الغبي، وكالعادة لن يكون بوسعي أن أقول لها: لا، وأمس ليلاً ماذا حدث؟ ماذا يمكن أن يكون قد حدث غير أنها كانت فخورة بأنها قادرة على الخروج مع شاب آخر، أو مع نفسها، وأنا أنتظر؟

وما الذي أريده.. ما الذي أريده من كل شيء يا فائزة؟ ما الذي يريده هذا الطفل المدلل الضائع الغبي الذي تحول إلى كرة متشابكة من الأعصاب والجروح.

عزيزتي فائزة ..

التي اعجبني عنك سنوات ، ولكنني اعود ، اتبع فحابة ، وانت تقولين
 لنفسه : ها هو الطفل يعود . كنت فيما سبقه تعضيه وكترنيه وتفعلينه ابنك تقديري
 ولكنك استلمت اخيراً ~~لديك~~ الرطلن الغريب الطولر دائماً ، المغلوب على امره دائماً ، لباحث
 عنه ملياً دائماً .. تطعيمه لانه ، بعد تشييه منه ، ان تطعني شيئاً واحد هو اني
 ساطل اعود ، فقد كنت علي كما يبدو ان اظن مدزواً مع الحاقني ، اني الذي انكر
 فتيه حبه كنت ~~بإثارة~~ به بنتم ، وقد ظلت دائماً اوفى لذيها شيئاً باسم التقاسم
 وسوء الظن ، وهأنذا اعود مرة اخرى لك ، ربما لانه جوده علي ولانه الميزه التي
 لم تتدي ولانه لا تتلحين ان تأخذني معن وذيولك ..

ما الذي يدرك تلك الاشياء الطولية الحاصية ؟ ما الذي تدرك ، بانظري ، جزا اقتربت
 عليه غرقة العذبات ؟ من كترنيه ؟ روح رفقة المشروط مع ربه المسكين وسوءه ، ذنبه
 المستندب الطيبه الذي كان يدعي ما لم انبهه ان نفسي ، انه ينجح بوسن حبه يذرك
 البصه . كنت اذا لم هو ربح كل شيء ، وقبضته : ليمتد الطولن ، ولكنه اذا ماتت هي منقوت
 صلاها . ورؤيت ان ازم . وكللته مثل جنونه فار . مستباً ظنني ان الاوية والنظر اليه مفرجة
 الدم تحتها بعد الباردة . وفيه تنفس الصمداء بعد قرنه من ربح اخذت اليه ، وسقط
 المشروط منه يدي ... ومع انك انك بعد ان صارت اسامة في الرابعة من عمره ..

ماذا انكرك امه بهذا الشيخ الذي مكني ؟ ربما لاني اشركم كنت مع عود .. ان لسانه
 ليس الا مفرح صلاباً ، هانذا كانه وعلنا وكذا سيطن ، وكل ما عدا ذلك هو اذ هراء ، وقول الامه .
 كنت احس به عليي حقيقاً وافن قل الغرزة التي كنت تسميني ، حبه كنت طفلاً ، النبوة ، وكنت
 امس كم كان فقدانك هولاء ساوت فيه ادارة العيش بشرة المشروط . انني لاني حقيقي
 الدلع وسوء ~~الظن~~ عليه كانت شبح فيها نون الكرامة البزق قاروان ، كان رجلاً قادراً علي
 ان ينيه من فرط ما شاهد الناس ميوتهم بهاطة ويكرهه وراولهم العالم على عين اقل ، وكذا يعرف
 ان عليكي .

وهأنذا اعود يا فائزة مما كنتك اعود اليه طبعاً حقيقياً للبلاد بغير ان يغزير

وتفهمين بغير صوت بقرته ان تقول في "كنت تسمى المزارع لي ، انا اعرف م
تبلغ به السكوة .." فتم المزارع يا مازرة فتم المزارع .. التي اعطيه رأسي **ANNA** على
بعد اكثر من عشرين سنة لتفهمه مرة اخرى رغم انني اعلم مبتدأ من اللان ، اعطيت
رأسي ، انا لسقي المكين ، فلم يتجدد شيء الا يدريه .. وبالضبط للشيء على بعد
النه من

ما الذي حدث منذ ولد اسامة عمر ذلك المضحى الصعب رهيب ؟ بالسنة
في عاتقك وقتا الباب الابيض سرهانه وكيبانه متقاطعتين منذ فرمت منها .. هل تغير
اي شيء ؟ ما الذي حدث ؟ اي جنون سبب هذا العالم ؟ هل رأيت الدكتور وسوءه مرة اخرى
وقد تتما عن جنونك ؟ هل يعرفني اسامة ؟ هل يسع عني بين الفصحى ، الزوى ؟ انا
انا فقدت في ذلك الشيء الذي فقدت في مرة الله وهذا ليس كطبي ذات يوم : الحب
لو كنت هنا ، وعشت بها كما كنت تفعلين منذ زمني ، لفظت الى عظمة
سرققة وهزلة رأسك موافقة . لقد عشت عجزى انظر ان ارى من رأسك تنو
الوجه . هيبه بل سامع جاكين في حبه قله سبع سنون انقذت اول فرصة ورفعت
امام عيني جاكين كالأخ تقولين "لا ، لست هي" وراحت جاكين ، وراحت منى ، وراحت
كذلك عه جاكين اللذي كالأخ تقوله "لا" .. وراحت هي . قول لي اراهي .
انرا هذا هو الذي كنت تتظنين يا مازرة وراؤ ظهري ، دعه ان اعرف ..
هذا هو الشيء الذي وعده يتصلح ان يطبي . كم كنت صادقة وكم كنت غيبا .. اتدري
يوم حبست اليه اتوك ان جاكين سارت ؟ قلت لي على ما لمة بعظور : ان شراسك
كول انما هي سلفاؤ قلبك هني ، لا مدور لها شنة . ذات يوم ستنصل اصباح المرأة ما
اليه وسقطته .. وان تجر جرسة اني سأنتهك وهدى !

كأننا اجي نكلميني به تقريبي ، ليس جسد ان تنصبي هذا ، اني اتفرقه
وليس برعد ان تدي بعدة اذنا واحدة ، هذا الجسد الذي كانه كله آذانه ، اننا
نجي اذنا مناخرين . مناخرين . مناخرين . **هنا** اذنت كل شيء آذنه يا مازرة ؟ مناخرين ا
امته آذنه مع هذا المنرفح ، مياقي وانظر اليه صالحة مديلة الشوك والتوهده وتمتد في
برودة الماضيه وبرودة يتغلب دون سكين .. ويبدو انني احاول ان استبدل الوطئه بالمرأة ، اعرفت

ونسبي رغم أني كنت قد فعلت الشيء الذي أكرهه والذي أكرهه أي أكرهه
 إذ فعلت فيه ضرايبه ولكنه امر مع نفسه انقلبه ، ولقد كنت أعرف مع الخافي أنه الشرايع
 المثلوي في الخافي سميتي ~~بشيء~~ بديع الخربة من هيدري كسني طلت صابنا ، وبسوة
 السنين تجليت عنه حياقي ، ابعة في بسوية ، كالت وماراد ارام ~~بشيء~~ بربما
 الشيء الوحيد وهذا الكون الذي استطع برضى لاعدود له ، انه اقدم ربح حياقي اذا ما تعرضت
 فطر ايفيا .

اقول لك ان آلمه رغم انك سألتي ذات يوم وكنا وهنا : هل انت جيد
 يعني ؟ هل انت لا حاسنا ، وهادقا ، بل . انك الضميمة وبعثتي بعيني آخر ، وهي
 تعرف .
 ثم هارت عارة .

فانت ، بل . انك فعلت اربع لي ، عارت . وقد كانت موهبة وانما في الخافي .
 انك لا تحبك عند الفقرة التي كنت اراها طيبة عارة في حركات في ابعة فتكون عكسها .
 لا . انك احضرت عنه وجود الذي قيل في ذلك واليه تحت . انك اقوله لا ربي الشرح الا
 ارجو ؟ وعيني اقول ان كيف : انك كنت اذنا شعبة طومة رباحة . انك قدوة للاعب
 الذي يكون حياق الالبسة شيئا فوضويا ، وانظرا من رباحة ووضيت ضوح ، وكانه زوب
 الشرح فذلك ~~بشيء~~ كسني عبد الزهاوة ، انك قدوة . انك انك سقطت ذقنة منه
 الشرح الا الذي رده اذرة عيني وتظهرت شعور . فورا رزلا الشرح ~~بشيء~~ المتجدد على
 شلح الزهاوة واستقرت في فقرة لم اكن قد لاحظتني منه قدى وتبوت هناك فجعلت
 ثوبا الشرح انك . يقاسمه منه كسانه .

دورا ما فعلت . ولست اجد اي وصف آخر له . ولقد كانت اول مرة عرضت مع
 الخافي كل الذي سيحدث . ثم اقول عنه عهدي . وعلمي انك مقدت على الذي يدفن في عقل
 من رمال المتحركة لا يعرف فيما اذا كان كلمة له وجود او انه يتطلع الفرح الى الزمام
 عمري انك سبعة وسبعون . ولقد شعرت اني قدوة . انك انك لم اصدده ولا
 اصدده . انك ويبدو انك ذكأت هناك لا يمكنه انك انك انك .

لقد عدت الكثير من حياتي ربي وهدية ولا أستطيع ان تروم الطوق بيدي .
العالم ان يوصل ، (لا اناج لا اوسو بهذا رقد تاله في هانت جمون قين اسرة)
الم ادمعنا ان طلعين ؟

لنكون كره اخرى يا الله قبلي وتكفي اذا ما اندفعت كوي ان اتركها
فلما جيت في صبح العلاقات السخية بينه اناسي ، وتكفي اذا ما ذهبت في عراستنا
ان ملاها الطلجي ان كسر رطضا . وكس يا فارة هذا كلام كتب واهما وهرسي
صان ورسو عراقت اراة اهل رطل كسلا وتكس .
لنكون مرة اخرى يا الله قبلي ان هد لا تريد شبه ان تتوضن هياق . ولله
صه ادي قال لنا ان كرونا ان ريدق ؟

يا فارة اني العزيزة بانك . رجا انا ما ساني . واسر فودع سلمنا يمدق
ادابنا ان المختار . كذالك اهايا انك انم اناس تتاولك اولاي . ان اول لا يفضيني
(احم فعد رصوت ان هذا اول) ولله عارا ؟ ما الذي يوضع اننا ما ان ترميها
آمر كيه جهه القوة ؟ اسر عادت في ام صديقه : ان هفت اي رطل ان هذا العالم له
يدخلني الاهد ، لانه اناج (ولان تحنت عن صديقي) ما انا ؟ ما هو من شي الهيس
الذي يوضع اراةنا استقل هذا الكلام (اهل الذي تبه ام صديقه ؟

لت ادي يا فارة . وكنتي ليل نكر ، ططع واه اروي ، امع رطل فله باعيت
واحدب عنه ومنه الله . اهايا انظر ان عسير ، واقول لعنه : ينجي ان كره هذه
اسرة ادي يوفد ريت اوسل مع هفت لصورة ، وكنتي لا أستطيع . كنت فيما سمع استطيع
ان اصل ان قرار : ان ططع هيت اقول هذا الكلام نسي . . . ان انا فانت له تدكبير
تعا شي !

ان ادينا حبيبة ، ولله لاقدر . ان ردا وجهت قد ضلقته اربيا
ان اساء فطنا رصينا فجعنت نلايت ارفور جياست وادابنا ريك . ولله قول
في : ما اني سمع ان عسر : ان هذه الياه ارفارة . تدنيه يا اعني . اننا و نلاية
المنظف سموت .

وإن لم ألتزم ذلك كله، لأطعن في كونه الاستيعاب، لأن مقتضى قوله هو ذلك
لذا الموضوع... ولست ادعي أنني الحرف لئلا يستلزم البراءة، وإنما في ذات يوم
سأكون قادراً على أن أقول أنني وأنا أوعدت أمامي، لا يثبتها (وهو أن يتبع لي
لفظة الدكتور ذلك: "لقد كانت" وعندها سأبني، وقد ارتكب حماقة، وقد
انكر لشر أوشريه، وسيفل قلبي بقرم كلها أو أعادها أو أسمح أصحابها
منها بقوم صب المرحوم عيادي شيئا فشيئا، وأقول إن ما هو واضح: قد
انزلته وأتخلم ولكني أبدأ أبدأ، أفتل أنه ألوه صدقاً لئلا، أرى بعيني
المسوسية، وهذا يثبت أنه يجب ~~الصدق~~ وكمه. عليه عمل هذا الكلام،
أني... كما قلت من قبل - أفتل الموت عند الإسراء، أنه أولاً لا يتضح أنه يجب
في عدوت، وفي البرهان منه، أهل الحقيقة سارت من رأيت أنه أوجب الرضا
البرهان، قدود أيتها الخيرية، قدود قدود، أيتها قدود، رأيت بره، وكنت
عندها الاتفاقه بأهل الإسائه، أفتل يوم روى لنا والذي أمكبه
كيت هنا هو صديقه حضار الصلوات صفا، مع منه ثم بسور عكاً، قبل
لنا يومك، أنه الضبار أوتت الأثرية... بالله كم كان يتقرأ الضبار
ربما تسجين ذات يوم أنني كفتت عنه ميمون، أقول لاه أوه، لا يقتدي، أنني
أهمل بطريقتك لأملكه أنه تدي، كفتت من مام ألت، أهياتي وعدي، وسنه
أهمل كديت العالم والناس ونفسي وسوقيت عزم هيما، أنه ~~هو~~ مع حساً، أنه
استوى لا تقبله المرأة، ولكنه مع الأرفق يتلج، هذا ما أنه يحمل، وهو يروى هذه
الحقيقة، لا تزل، ورواها كفتت مرة، فبدأت بمفعول الضبار.
استأثني: ما الذي تريد منه؟ وأنا لا أدري، أفتل من أنت، أنني أروها
أنا لا أستطيع أن أزم، كيت تروى المرأة، هذا كنه، أنه علامتها، إلى الجديد، أنني
طامة، وأنا أنت أنا هو قاراً على أكان قرأ، رهيت منه النوع الذي أكتبه، فداستبه، سليل
تريميه، أنه أمر المرفور؟ صحيح، أنه ليس ليس إلا، ولكنه بوقود... أو، يا خذرتي، أليس
منه العمل بالنسبة إلى أنه أفتل صفة عميقة، كفتت هي لا أفتل، الأوهة لاه، وأنا

~~.....~~ .. انه ياذا اريد ؟ لا اعرف ايها الزبيرة سر

العرف .. انه الحياة بحسرة الازل ما ينفي مناسي حبيبه ارجع سنة في الاكثر ،
والذي اسره نوره اننا نضيح حياتنا هباء ... انه ربهوتي لم تذلل حديته مكلما
تذلل مع كل ليلة اتول لذاتي خيرا : لو ما ذلنا ... ثم ادبر ظهره وانصفي كالتف
قطعة فشب لا سكتا عصبه ، وينزف صبره تلالا (جولة) المهدورة حينه اسمع ولا
ظلمني اصطفاه اليباب : ان الامر لا يحيرني .

ياذا اقل ؟ حاد لي انه تقولي في رنج اني له الميع ، ولكنه عسى ذلك
يساعد في الوصول الى شيء .. اننا آفوهه فيه ضحني الشرا مقلنا بنا . احيانا : انظر
في الاحتكاك بالبدنيه عسا انه اموت شريفا مع الاقل ، احيانا : انظر بالفران ساه
محمول : ابدل اسمي والحق وانصفي الى انه اموت تقدره تقبول .. احيانا : اقل في اشي م
بيتره : وابقا ، نيم .. ولكنه ربه فله - اسأل - بهار يدي : اكسين اني احتسب
عنه فزاد منه نسيو ؟ لا . صغرا ؟ لا . انه ياذا اريد ؟ اني اريد . ولكنه
كيف ؟ كيف ؟ اني هي ابولوية السرية : في هذا الله ~~الذي~~ التي تلج ان طبع اقداسا
خفته معا ؟

ان بشي الوهد الذي اردته في حياقي لا استطيع ان اقول عليه . لقد تبين لي انه
حياقي صحيحه كانت سلسلة من الرغبي وذلك استغنته ان اعيش . لقد رفقت احسنه .
ورفضت العاكه . ورفضت الثروة . ورفضت الخضوع . ورفضت القول بالاسماء ، وبشي
ابدا لم ارد شيئا جديدا ، وحينه اريدها تنفر من اصابعي (واصابع لقره والريدار
والعالم . اما انهم ذلك) ولما يفر الملاء من الغريال !

انني انظر : بالنسبة لها لا عجي . محركنا فاسره ، انه ~~فصل~~ فلدخل مع رجلا
لان اني الحظفة . الرمه ضدها نلستعد طاه لهد معنا . اللقاء سكتين فلتلاوه
حينه كوجه زين مكلما . سخر كل شيئا فلذبح الزمن في لا نندم . اللطاف قادم

انا اعرف اني قصبي ، لا . فين كما احب . ولكنك قصبي . اني هه تردد زاما اني
صدي اذا ~~صدي~~ ~~صدي~~ ~~صدي~~ ولكنك لا كنت عند قصبي دونه وعي مجا . اني
ترب بي اي وقته لا اذ فتم عن المذبح نحوها . اني - رغم كل ما تقوله - تقضي بقاها
والساعه التي تمر على ليلتي ، وانا اعرف ان الحياة قد هدمتها بما فهم الرضاية لرفض
مزينا عن الامراض وكسبنا يتبين على اننا ارفع اذمن ؟ اني اراة صبية - تنظيم
ه رويج زله في صورها - ولكننا اهل في لوانع في صورها ، وقد يكون دورها في الحاسي
وهريمي اني مشرة بطريقة لا يمكن صدها ، وهذا امر لا ميلة لينا ، ولكنني اني
لا ميلة لينا . واني ذلية وسامة وشهمني وهذا بيدي اياي بقدر ما يجدها
عني ، فهي تجي اني رجا طبيعة افعالنا التي عرفنا شيك دونه وعي منا . اقول
به باصهار اني صباة ، تريد ان يكون نصف الاستعداد ، وترتدي ولا ترتدي
عيني ، في في المذبح ابي وصوت صباة . اني اننا لا انا لا كنت اجد عندك ان
صياقي تقضي في مستقب الميانه .

انني اذ اذع معك عن ساطعة الترميم .. اني اني قصبي ، اني هه
لنا اني اذع في رايلا ومصايف : اني قصبي سترنا في ؟ فانك ترد على عوي ، وكنت
اعرف انه وكنت هه قصبي اني ؟

انني اذع عنك في عيني اياي ، عني انا سارا على هوي
به هواء اني من هذه المرأة ، اني احبها ، واسترنا .. وفي سبي ذلك ارشيت
صباة اوى لا يدي في : يا عاثره ، ليس لدي اية عذوبة هنية مع اي كانه ..
هه سترنا ؟ اني رجا باساي هه في ذلك ، لتوافق عوي اني بيبي هه وعني ،
ههنا قال في الدكتور وسوا رجا : ولذلة انت مرصين بالكر يا صغيري !
وكنت هه اني قصبي هه ان هه هه هه . اني كنت صغيرا
ان هه اذع ولم يعد انا اني في نلانية الوبه . هه هه هه هه ؟ لا اعرف ،
وكنتي اريدنا . ههنا اني قصبي كما هه هه هه . وانا اعرف اني هه هه هه
لينا كما انه اننا هه هه هه : اني اني اراة لينا لينا لينا

مستحذاً . الضمير ليدل على أن الكلام ينتظره . أي
أو هكذا فليترك كل شيء إلا . هذه اللفظة ، في جرح نظيف
وغيره ونحوه .

ولكن في الوسط ، في الوسط يا فائزة التي ترميها التي لا يستطيع
! لتقاربه أفضل المطلوب مع امره حريف في قصته ضحية العادة ،
أما أنا فمحنة صخرة وهذه ، اجمل مرة واحدة ، واعود مرة واحدة !

وكيف هذا ، سامة ؟ عليه ان الزيف هو هذا المرور المرهق
فانه الدنيا هراء يكسب فيه من يراه مع الحكمة . مورتوي له ابدأ بعد قصة
ضال الذي اريد ان لا يوم صنع الحياة . عسرط خارج الحياة التي تعقيداً
ويخفي ان يكونه الأربطة الحياة مثل القصة الجليل لا يتطبع ان يبدع
فهو اراد ان يرضى نفسه فيك . الاثارة هذه الابد وهو الرصيد المثل . . . عليه
ان يرتظر ثلثه سنة لتركب اظفار حاله المقيس ، وانه لا يتوقع شيئاً .
لاكتفي في جواباً . لا أتري . لا تقدي في شيئاً اني اعود اليك
عندما يعود اليتيم الذي جاءه الوعيد ، وانظر اعود الحظيرة راجي الجبل
تجفيفه جدا انما السعي ان يبدع تحت المزارع !

١٩٦٠ / ١٠ / ٢٨

الشمس ستعود بعد قليل ، ولتوي توقيت هاتفاً سنة كنت انتظرها
فواللهي وكنت اعرف انني لو اردت ان اعدّها لوجدتها وكنتي كما دونه ارادة حتى كنت اريد
ان اري مدى الصداقة هي . لادف ، لاشارة . لوشني . قالت لي في الصباح اني ستأوي ام
رأسه في العشرة وهذه " اذهب بيتي ياك " اليوم ولكنه حتى منتصف الليل لم يسه هناك ،
الذي الواهة ، ولا في الثانية ، ولا في الثالثة ثم لفتت له فابعدتني اني كانت شبي

بيننا ، وانما كانت تسمر مع صديقه ... وسألتني : لماذا تأخرت ؟

كانت تسب ابني اهدانا مع البيت وكنت لم اكنه اهدانا وكنت مع بعد سرعة واحدة

منذ كنت سأنت مع ابني على اذ كانه احد قد هتفت فقبل لي انه جرسا طفت دمه

رة اورسته دونه صواب كحفتته لك ، وهذا - يا فائزة - ما كانت تريد ان تقولوه انه هو تطويرون

كانت تسب لهدا اذني كي تسب فيها المصحة .. ترى ما الذي يذكر لك ~~الاصحاح~~

الاصحاح في ، الا ان ذلك ؟

ما الذي حدث هنا لليلة ؟ ابني محبوب . هذا شي حقيقي : حسيه كتبت من اهتمامات

السابقة كتبت ، اني ، مع بعد فطوات منذ ، مع بعضي لياور وسيرت الى جانب

سيرت ، وصلاهدت لي كحفتت وترقت لم كتبت ، وذلكت ، وكنت اشرب لاسا

مع كل صغمة حتى صلاهدت والدين وقتن الكحول ليكتني فلم يدور بسعي انه اوله ذراعني

وقدت السيارة في المطر والغبش والذهول كهدوم لم ليك عندي في عيادي ، وقمرت انه

لا اري اهدا ... لم ، فهدا ليلت ، فكرت بالقياسة فهدا وعرفت اني سألوه تعياني

الاصحاحين . ابني اهدني وهذا شي لا اطلع انه امره ولانه انا ولهدتي انه

اعقره لغني ، وعينه لست اهدني جدا فان ليلته راودني نحو . محيف ، اهدني في

صفا ، بانني لم اهن اوارة مع قبل .

وهأنت المكدوم وضخومه وبعيد عن كل شي ، وغدا لهد ليوه يوطح لافر .. وان ارف

ابني اهدني انه اكونه وسينما اما ما رها ثلاثة سنور ، اهدا كتبت مع كهدا الاوانه من ، يوطح بعد

نوف ، لتي بعينيه قصة رحل بينتي ، اوييدا ، اوييلا ، اويغريب ، اويوت بالصفحة ،

بعد ذلك كله .

وما الذي بقي لافعله ابني الحزيرة ؟ ما رها بطني ؟ بعد قبل ما اشرب

تهدرة ارفي ، واصتا لكتاب حليب كي يخل صدرني قادرا مع بطني .. وسألتني ، ولهدتي انه اري

اهدا ... وسألتني في مكانه اهد وراي مع انه اسمع فيه هوسه واكله انهدني

سره ينجح في روايتك او التحدث اهدني .

امس بومه اعجبت والمبى . ورت من امام بيتك عت رات ورايت سوارتك وتفتت
مع ما في اوتتة اتفاز مع الناس ومرطاك والمدور وانا اكار اعقد ام الى هيا . بولا
لدة منذ سنات نيت الابرة الحبتة ونيت الطام . تراها سالت عني ؟ ذالا له كيوم
الانا لانت تريد انه تراخي حذب . او تريد انه تحكي تفاني بل بل نيت الناراة : الزلب
الما بيتك بكر . او تقول لي : ماذا تقار ؟ جيدة عند اشعقة جديدة جيدة . .
تجد الف عذر لترضي هذا الطفق القنوع الخبي ، والاعادة له كيوم بوسعي انه اعول
لك : لا ، واسى ليلا ما زاهدت ؟ ما زال عليه انه كيوم قد هدت عتد انه كانت
فؤرة اذنا عارة على الزور مع شبا آفر ، او مع نلسا ، وانا انتظر ؟
وما الذي اريده . ما الذي اريده منه كل شي يا فارة ؟ ما الذي يريده هذا
الطقف المدلل الضال الخبي الذي توك الى كدة بشا لجة من الارباب (الزور) ؟

المحتويات

- ٥ محاولة إهداء: إلى الذين لم يولدوا بعد
- ٧ محاولة تقديم أولى: الخروج من الخاص إلى العام
- ١٦ محاولة تقديم ثانية: وفاء لعهد قطعناه
- ٢٧ الرسالة الأولى: بلا تاريخ
- ٣٦ الرسالة الثانية: من القاهرة إلى بيروت
- ٣٩ الرسالة الثالثة: من غزة إلى بيروت
- ٤٤ الرسالة الرابعة: من بيروت إلى لندن
- ٤٨ الرسالة الخامسة: من بيروت إلى لندن
- ٥٤ الرسالة السادسة: من بيروت إلى لندن
- ٥٧ رسالة على مغلف رسالة
- ٥٩ الرسالة السابعة: من القاهرة إلى لندن
- ٦٣ الرسالة الثامنة: من القاهرة إلى لندن
- ٦٩ بطاقة من القاهرة إلى لندن
- ٧٠ الرسالة التاسعة: من بيروت إلى لندن
- ٧٧ الرسالة العاشرة: من بيروت إلى لندن
- ٨٥ بطاقة من السودان إلى بيروت
- ٨٨ بطاقة من أسوان إلى بيروت
- ٨٩ الرسالة الحادية عشرة: من بيروت إلى لندن
- ٩٧ الرسالة الثانية عشرة: رسالة من بيروت إلى بيروت ذات فجر